الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي طاهر * سعيدة
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم :اللغة و الأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس

تخصص لسانيات عامة

بعنوان :

بين اللسانيات البنيوية واللسانيات ما بعد البنيوية

(قراءة في المنعطف اللساني)

من إعداد الطالبتان

سماحي فاطمة الزهراء

بلاكحل سمية

تحت إشراف الدكتور :

د. واضح أحمد

السنة الجامعية

1438 هـ/1439

2017م/2018م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه؛ أثني عليه بأكمل ثناء، وأمجده بأجل تمجيد.

إلى نبع الحب والحنان، إلى من خصهم رب العزة بالدعاء في كتابه الكريم (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّل مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَب ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيَانِنِي صَغِيرا) والِديَ العزيزين.

إلى النور الذي ينير لي درب النجاح وسبب وجوي في الحياة، إلى الذي كرس كل حياته لتعليمنا واكساب قوتنا، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أغلى وأعز انسان على قلبي ومثلي الأعلى والدي الحبيب لك كل التجلي والاحترام.

إلى أغلى إنسانة في الوجود، والدتي التي لا زالت تمطرني في ضمير الغيب بزحام من الدعوات الخالصة داعية من الله عز وجل أن يحفظها ويديم عليها الصحة والعافية.

إلى أبرز ما وهبني الله بهن أخواتي العزيزات؛ نادية وآسية ونجوة واياس استبرق.

إلى أخي وحبيبي عبد الناصر.

وإلى جميع أقاربي دون استثناء؛ أخوالي وأعمامي وخالاتي وعماتي وإلى جداتي أطال الله في عمرهما.

وإلى صديقاتي؛ فضيلة، نادية، بشرى، حنان، فاطمة اللواتي قضيت معهن أوقاتا لا تنسى، كيف لا فأجمل أيام العمر هي أيام الدراسة.

وإلى زميلتي التي تقاسمت معي عناء هذا البحث سمية بالأكحل.

وإلى كل من كان سنداً لي في هذه الحياة.

أهديهم ثمرة بحثي هذا.

فاطمة الزهرة

إهـــداء

إهـــداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى من كانت عوناً وسنداً ومصدر للثقة والإعتزاز وإلى من أرضعتني الحب والحنان ***أمّي الغالية***.

إلى ***والدي*** رحمه الله الذي رعاني في الصغر أدعو له بالرحمة والمغفرة وأن تسكن روحه الجنة الخالدة.

إلى روح ***جدتي***الطاهرة ، تغمدها الله برحمته الواسعة وأسكنها فسيح جنانه.

إلى المحبين إلى إخوتي ***عبد الناصر*** و***محمد*** وإلى وحيدتي ***شريفة***.

إلى كل أفراد عائلات أخوالي، أعمامي، عماتي وبالأخص عمتي هنية التي كانت بمثابة الأخت وبناتها ليندة ومرام وسنـــاء وكل من يحمل لقب بالأكحل.

إلى ظلالي التي لا تفارقني؛ صديقاتي آمال ومروة وبختة ونجاة، سمية وإكرام ونورة وفاطنة وحليمة.

وإلى من كانت سندي في هذا العمل فاطمة الزهراء سماحي.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة بحثي هذا.

سمية

كلمة شكر وعرفان

تتويجاً لهذا العمل البحثي لا يسعنا إلا أن نسدي الشكر لكل من ساهم في إنجازه وإخراجه على هذه الحلة بداية من الأستاذ المشرف الدكتور واضح، الذي قبل تسديد هذه المذكرة بنصائحه الرشيدة وأمدنا بما نحتاج من إرشاد ولم يبخل بما توفره لديه من توثيق.

كما نتقدم بالشكر والإمتنان إلى كل من تفضل فأبدى لنا نصحه أو رأيه ودلنا على مختلف المراجع الزاخرة بالعلم والمعرفة، فإليهم جزيل شكرنا وفائق احترامنا.

ولا يفوتنا أن نثني على كافة أساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، الذين أخلصوا في تدريسنا ولم يبخلوا بما يملكون من معرفة من أجل أن نصل إلى مرحلة التتويج هاته.

فاطمة وسمية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

لقد شهد الدرس اللّسانيّ الحديث تطورات واسعة مست مجال التركيب والدّلالة وتعدتها إلى التداول، باحثة عن كل الملابسات التي لها تعلق بالملفوظ من أجل تحقيق فهم جيد له وإدراك لكيفية اشتغال وحداته ومختلف التعالقات التي تحكمها، ونتيجة هذا لم يعد الاتجاهان البنيّوي والتّوليدي التحويلي الاتجاهين المهيمنين على ساحة الدراسات اللسانية، إذ أتاحت المعرفة المعاصرة نماذج لسانيّة تحليليّة أكملت النقص أو الزوايا التي لم تطرقها الدراسات السابقة، ويعد التوجه الوظيفي المؤسس على الأبعاد التداولية أبرز هذه النماذج وأدقها وأكملها.

هذه المعرفة التي يمكن مقاربتها أو النظر إليها على أنّها صدمة العقل فيوعي الظواهر، وما يستتبعها من تصحيح وإعادة نظر؛ فما إن يستقر العقل على حال حتى يغير وجهة نظره باحثاً عن زاوية أخرى، وذلك لإدراكه نسبية المعرفة والعقل البشريين.

إنّها سياسة البدائل وتعديد أوجه النظر من أجل إدراك الحقائق وتدقيقها، هذا الأمر الذي يعدّ إمكانية مرنة يتوسل بها في فهم الظاهرة والإحاطة بها، وهو ما نلمسه في هذا التوجه الأخير (الوظيفي التداولي) حيث صار يعتني بالبحث ودراسة القرابة التي تربط اللّغة كبنية بمستعمليها، وما ينشأ عن هذا الربط من تفسير وفهم لهذه الخصيصة التي امتاز بها الكائن البشري، وكان من استتباعاتها أن بدأ العلماء يدركون شروط نجاح الخطاب وطبيعته، وأنّه أنتج لغرض تواصلي، وأنّ الوظيفة التي استدعته تترك لا محالة بصمتها على بنيته التي تركّب منها.

ولمعالجة موضوعنا طرحنا إشكالية جوهرية للبحث مضمونها:

كيف انتقلت اللّسانيّات من البنيوية إلى ما بعد البنيوية؟ وما هي أهم المحطات اللّسانيّة الكبرى؟

ومن تحتها أسئلة فرعية:

- ما هو مسار النظرية البنيوية؟ وكيف ظهر أثرها على الدرس اللّساني الحديث؟

- ما هي أهم القضايا التي تثيرها اللّسانيّات البنيوية؟

- ما هي أهم مفاهيم وخصائص هذه الأخيرة؟

- كيف حللت المدارس البنيوية اللّغة؟

- ماهي الأسباب الداعية إلى تحديد النظرية البنيوية؟

- ماهي النظريات اللّسانيّة الحديثة التي طرحت نفسها كبديل لهاته اللّسانيّات؟

وبعد اختمار هذه التساؤلات في ذهننا تولّدت لدينا فكرة قبول هذا البحث الموسوم بـ: بين اللّسانيّات البنيويّة وما بعد البنيّويّة – قراءة في المنعطف اللّساني-

وقد جاءت محاولة البحث وفق منهج مناسب ***وصفي تحليلي*** فكانت الدراسة مضمنة في مقدمة ومدخل و فصلين وخاتمة.

أما ***الفصل التمهيدي*** فقد عنوناه بـ: "اللّسانيات النشأة والتطور"، فكان بمثابة عرض تاريخي للّسانيّات، تطرقنا فيه إلى التعريف باللّسانيّات، وتحدثنا عن نشاتها وموضوعها وخصائصها وأهم مناهجها وفروعها.

و***الفصل الأول*** المعنون بـ: "اللّسانيّات البنيوية ومدارسها" تضمن تمهيد وأربع مباحث:

المبحث الأول: مدرسة جنيف، وفيه تعرضنا إلى التعريف بهذه المدرسة وإلى مبادئها.

المبحث الثاني: تحدثنا فيه عن مدرسة براغ الوظيفية من خلال التطرق إلى نشأتها وتطورها وكذا مبادئها الجمالية منها واللّسانيّة، وذكرنا أيضا برنامج حلقة براغ.

المبحث الثالث: وفيه سلطنا الضوء على المدرسة النسقية وعلى نشأتها وتطورها وتحدثنا عن نظرية الغلوسيماتيك ومبادئ هذه المدرسة.

المبحث الرابع: المدرسة التوزيعية، فتحدثنا عن نشأتها وتطورها وتطرقنا إلى مبادئها وأهم مميزاتها.

أما ***الفصل الثاني*** فكان تحت عنوان: "لسانيات ما بعد البنيوية" فتضمن هو الآخر تمهيد و أربع مباحث كانت كالتالي:

المبحث الأول: وخصصناه للحديث عن اللّسانيّات التوليدية التحويلية تعريفها وسبب نشأتها، وكذا موضوعها ومعالمها.

المبحث الثاني: تطرقنا فيه إلى اللّسانيات الوظيفية وأهم نظرياتها.

المبحث الثالث: وتناولنا فيه اللّسانيّات النصية وتحليل الخطاب، فتحدثنا عن نشأتها وأهدافها ومنهجياتها.

المبحث الرابع: وفيه سلطنا الضوء على اللّسانيّات التداولية من خلال التطرق إلى نشأتها وتطورها وكذا أنواعها ومهامها بالإضافة إلى أهم مفاهيمها.

أما ***الخاتمة*** فقد ضمنتها أهم الملاحظات والنتائج التي توصل إليها البحث.

ولا يخفى أنّه كانهناك بعض الكتب المتفرقة هي السراج الذي اهتدينا به في مسيرة هذا البحث نذكر أولها: كتاب اللّسانيّات النشأة والتطور لأحمد مومن .

ثانيا: كتاب في اللّسانيّات التداولية لبوجادي خليفة.

ثالثا: كتاب المدارس اللسانية المعاصرة لنعمان بوقرة.

رابعا: في اللسانيات العامة لغلفان مصطفى.

ومن دواعي اختيارنا لهذا الموضوع وتخصيصه بالدراسة:

– التعريف باللّسانيّات وتأصيلها وتطورها، وبالدراسات اللّغوية المختلفة التي مهدت السبيل إليها، وجعلتها علما قائما بذاته.

– التطرق إلى الإسهامات القيمة التي ظهرت مطلع العصر الحديث، وإلى اللّسانيّات المقارنة والتاريخية التي سادت خلال القرن التاسع عشر للميلاد.

– ومن أجل الوصول إلى حقيقة الدرس اللّساني، فإننا تناولنا بالتفصيل المدارس اللسانية التي ظهرت بأوروربا في القرن العشرين وكذا التيارات اللّسانيّة الكبرى في الولايات المتحدة الأمريكية.

ولم يكن البحث يسيرا فكل عمل جاد سبيله الجهد و الطرق الوعرة، بل على العكس، فقد واجهتنا في بحثنا هذا مجموعة من الصعوبات والعوائق ومن أبرزها نذكر على سبيل المثال لا الحصر كثرة المادة العلمية وصعوبة تصنيفها وترتيبها وشساعة الموضوع، وتعدد الآراء الباحثين والدارسين حول هذا الموضوع مما يجعلنا نقف أمام كم كبير من المعلومات.

وفي الختام نتقدم بالشكر الوافر والتقدير الخالص إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث، ونخص بالشكر والتقدير أستاذنا الفاضل، الأستاذ واضح أحمد، الذي كان له عظيم الفضل في إنجاز هذا البحث، فقد رعى البحث طيلة فترة الإنجاز فكان نعم الأستاذ المشرف، فله منا فائق التقدير والاحترام.

الفصل التمهيدي:

- تعريف باللّسانيات وتاريخها
- نشأة اللّسانيّات
- موضــوع اللّسانيّات
- خصـائص اللّسانيّات
- أهم مناهج اللّسانيّات
- فروع اللّسانيات

1-تعريف باللّسانيّات و تاريخها:

اللّسانيّات هي العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدًا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية. وكلمة (علم) الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى لتمييز هذه الدراسة من غيرها ،لأنّ أول مايطلب في الدراسة العلمية هو اتِّباع طريقة منهجيّة و الانطلاق من أسس موضوعية يمكن التحقُّق منها و إثباتها[1].

والعلم بحثٌ موضوعه دراسة طائفة معينة من الظواهر لبيان حقيقتها و عناصرها ونشأتها وتطوُّرها ووظائفها والعلاقات التي تربط بعضها ببعض، والتي تربط بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها.

و تعرف اللّسانيّات (ويسمى أيضا الألسنية، وعلم اللّغة) بأنها "الدّراسة العلميّة للّغة" [2] تمييزا لها عن الجهود الفرديّة، والخواطر، والملاحظات التي كان يقوم بها المهتمون باللّغة عبر العصور. ومن الشائع في تاريخ البحث اللّغوي أن الهنود، والاغريق كانت لهم اهتمامات باللّغة منذ أكثر من ألفين و خمسمائة سنة. وكثيرا ما يشير مؤرخو البحث اللّغويّ الغربيون إلى جهود الهنود، والإغريق، ولكنهم يغفلون جهود العرب، والمسلمين في هذا المجال.

2- نشأة اللّسانيّات:

يذكر جورج مونان[3] أنّ لفظ لسانيّات ظهر في اللّغة الفرنسية سنة 1833، بينما استعملت كلمة لسانيّ لأول مرة من قبل رينوار سنة 1816 في مؤلفه **مختارات من شعر التروبادور**. ومن المعلوم كذلك أنّ اللّسانيّات العامّة لم تصبح علماً عامّاً قائماً في ذاته إلا في بداية القرن العشرين مع دروس دو سوسير ما بين 1906 و1911 وعلى أبعد تقدير مع نشر هذه الدروس سنة 1916. لذا فإنّ القول بظهور اللّسانيّات على يد سوسير، يعني ببساطة إلغاء قرون طويلة من النّشاط اللّغويّ في حضارات مختلفة هنديّة ويونانيّة وعربيّة إضافة إلى الجهود اللّغويّة لفترة ما بعد النّهضة الأوروبيّة.

إنّ الفكر اللّغويّ يشمل مجمل الأفكار والآراء والتّصوّرات التي تمّ إنتاجها في مجال اللّغة منذ أمد بعيد، وفي مختلف اللّغات والثّقافات. وبهذا المعنى، فإنّ اللّسانيّات لا تشكّل سوى جزء خاصّ من التّفكير

[1]- حنا حسام الدين، جريس، معجم اللّسانيّات الحديثة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م، ص303.

[2]- وافي عبد الواحد، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004م، ص24.

[3]- مونان جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، ترجمة: بدر الدين قاسم، جامعة دمشق، ط2، 1392هـ-1972م، ص5.

اللّغويّالممتدّعبر التّاريخ والحضارات الإنسانيّة الكبرى. إنّها أوّلاً وأخيراً فكر له سماته وخصوصيّاته التي تميّزه من غيره من أنواع التفكير اللّغويّ الأخرى كالفكر اللّغوي التّاريخيّ والفكر اللّغويّ المقارن.

إنّ إطلالة سريعة على الأدبيّات اللّسانيّة الحديثة تبيّن بجلاء وجود هذين التّصوّرين في التّعامل مع تاريخ الفكر اللّغويّ. يذهب بلومفيلد مثلاً إلى القول إنّ "الدراسة العلميّة للّغة لم تبدأ إلا منذ القرن الماضي فقط عن طريق الملاحظة الواعية والواسعة وبالتالي ليست اللّسانيّات سوى في بداياتها"[1]، وهو بذلك يحدّد ميلاد اللّسانيّات على أبعد تقدير في القرن التاسع عشر، أي مع ظهور المنهج التاريخي المقارن على وجه التّقريب.

إنّ موقف بلومفيلد المتشدّد الذي يُلغي الفكر اللّغويّ القديم، لا يأخذ به لسانيّ آخر. وفي اتجاه مغاير لموقف بلومفيلد السابق، يحاول روبنز في كتابه الهامّ**التاريخ الموجز للسانيات من أفلاطون إلى تشومسكي:**

توضيح طبيعة العلاقة بين التصوّرات اللّغويّة القديمة والتّصوّرات اللّسانيّة الحديثة: "إنّ اللّسانيّات اليوم، مثلها مثل فروع العلم و المعرفة الإنسانيّة الأخرى، ومثل كلّ مناحي الثّقافات ، عبارة عن نتائج لماضيها، وعبارة عن مادّة لمستقبلها. والأفراد يولدون وينمون ويعيشون في بيئة تتحدّد فيزيائيّاً وثقافيّاً بماضيها، وهم يشتركون معاً في هذه البيئة"[2].

يعبّر عن الموقف نفسه جورج مونان الذي يرى أن أصول اللّسانيّات تضرب في عمق التاريخ الفكريّ والمعرفيّ الإنسانيّ، " إنّ اللّسانيّات الحديثة لم تنبثق فجأة في القرن التاسع عشر كما تنفجر العاصفة في سماء صافية. لقد مهدّت لظهورها آراء سابقة في اللّغة، على الأقل منذ مصر القديمة"[3]. إنّ هذا الكلام ردّ مباشر وصريح على موقف بلومفيلد.

وفي سياق آخر، يوضح مونان فكرته السّابقة مشيراً إلى هذه القضية في بعدها التّاريخيّ والمعرفيّ معا ما تطرحه مسألة نشأة اللّسانيّات من اختلافات جوهريّة في رؤيتنا لتحديد تاريخ اللّسانيّات نفسها. يقول: "يختلف تاريخ اللّسانيّات بحسب وجهة النّظر التي قد يتّخذها الباحث، وعليه فإن اللّسانيّات قد تكون

1- غلفان مصطفى، في اللّسانيّات العامة- تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص95.

2- روبنز، موجزتاريخ علم اللغة، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، ط1، 1978م، ص19.

3- مونان جورج، تاريخ علم اللغة، مصدر سابق، ص 20.

نشأت حوالي القرن الخامس قبل الميلاد (يشير إلى اللّغويّ الهنديّ الشهير بانيني)، أو مع بوب سنة 1816 أو مع سوسير سنة 1916، أو مع تروبتسكوي سنة 1926، أو مع تشومسكي سنة 1956"[1].

ومعلوم أن الأسماء التي ذكرها مونان تُحيل على محطّات هامّة في تاريخ الفكر اللّغويّ قديمه وحديثه، وهي محطّات كان لها أكبر الأثر على تطوّر الدّرس اللّغويّ عموماً وفي اللّسانيّات بصفة خاصّة. وبقدر ما يشكّل هؤلاء الأعلام محطّات تاريخيّة توحي لأول وهلة بالاستمرارية على المستوى الزمنيّ المحض، فإنّها من حيث المضمون النّظريّ للّسانيّات تعكس أيضاً قطائع إبستيمولوجيّة بارزة مكّنت اللّسانيّات من تجاوز ذاتها وتاريخها في آنٍ واحد.

ويلاحظ متتبع تاريخ الفكر اللّغويّ عموماً واللّسانيّات بصفة خاصّة، أنّ اللّسانيّين الذين كان لهم دور الريادة في اللّسانيّات الحديثة، وشكّلوا بدون شكّ منعطفاً تاريخيًّا حاسماً في تطوّرها، كان لهم موقف إيجابيّ إزاء الإرث اللّغويّ القديم، سيّان في ذلك ما تلقّوه عن غيرهم من اللّغويّين أو الذين عاشوا في كنفه من دون تقبّله كليّاً او جزئيّاً. هذا ما حصل لسوسير (1857-1913) وتشومسكي (1928) وهما من أقطاب اللّسانيّات الحديثة ورُوّادها من دون منازع.

إنّسوسير الذي يُعدّ في نظر جميع مؤرِّخي الفكر اللّغويّ مؤسّس اللّسانيّات،بوصفها علماً مستقلاًّ له أصوله وقواعده المنهجيّة ومفاهيمه النّظريّة، لم يكن مقتنعاً بالآراء التي أذاعها رواد المنهج التاريخي في دراسة اللّغة إبّان العقدين الأخيرين من القرن التّاسع عشر، رغم أنه عاش في حضن اللّغويّين التّاريخيّين وتتلمذ عليهم. وبالرّغم من خلافه النّظريّ الهامّ معهم، فإنه يُقِرُّ صراحة في **"المحاضرات"** بقيمة اللّغويّين القدامى، فاللّسانيّات هي استمرار لمراحل لغويّة سابقة حدّدها في ثلاث مراحل أساسية هي[2] :

– النّحو: بدأه اليونان وأكمله الفرنسيون مع (بور رويال القرن السابع عشر)، وهو قائم على المنطق. إنه ممارسة معياريّة.

– الفيلولوجيا: وقد بدأت في الإسكندرية خلال القرن الثالث ق.م.

– النّحو المقارَن أو الفيلولوجيا المقارَنة: وبدأت مع فرانز بوب.

[1]– المرجع السابق، ص25.

[2]– مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامة، مصدر سابق، ص97.

وواضح أن سوسير لم يُنكر القيمة العلميّة لأسلافه من يونان ومقارنين وتاريخيّين. نجدُه غير مرّة يَذْكُر فَضْلَهُم وجُهْدَهُم في تطوّر الدّرس اللّغويّ الحديث، معتبراً أن الفيلولوجيا مهّدت للّسانيّات التّاريخيّة "وأنّ أعمال النُّحاة المقارنيين والتاريخيّين كانت خطوة حاسمة في تاريخ اللّسانيّات"[1].

أما رائد النّحو التّوليديّ تشومسكي، فإنه أرْجع أَصْلَ نظريّته التّوليديّة التّحويليّة التي كانت ثورة حقيقيّة على اللّسانيّات الوصفيّة، إلى القرون السّابقة وتحديداً إلى القرنيين السابع عشر والثامن عشر، عصر ازدهار الفكر العقلاني، لاسيّما في فرنسا مع ديكارت ورهبان بور رويال. كما عدَّ تشومسكي اللّغويّ والفيلسوفَ الألماني همبولدت مصدراً أساسيّاً لكثير من أفكاره التّوليديّة، وعنوان كتاب تشومسكي 1966 اللّسانيّات العقلانية أو اللّسانيّات الدّيكارتيّة دالّ على احتفاء تشومسكي بالأُصول العقلانية لنظريّة النّحو التّوليديّ. ويذهب تشومسكي إلى القول إنّ النّحو التّوليديّ ووقف عليها، وأن علوم النّحو التّقليديّة القديمة ليست سوى علوم نحويّة توليديّة تحويليّة بشكل غير صريح.

والمتأمّل في أعمال رائدَي اللّسانيّات، (سوسيروتشومسكي) يلاحظ أنّ أعمالهما التي شكلّت محطة تحوُّل كبرى أو قطيعة إبستيمولوجيّة في تاريخ الفكر اللّغويّ كما يقال، ظلّت محتفظة بالكثير من الأفكار اللّغويّة الماضية، على مستوى المفاهيم، والمصطلحات على السواء. فاللّسانيّات البنيويّة والتوليديّة باعتبارهما تصوّرات جديدة، احتفظت بالإرث المصطلحيّ والمفاهميّ المعروف منذ الفكر اللّغويّ اليونانيّ. إنّ مفاهيم مثل أجزاء الخطاب (اسم، فعل، حرف)، ومفاهيم الجملة بأنواعها ومكوّناتها الدّاخليّة على سبيل التمثيل لا الحصر، وهي مفاهيم قديمة شكلاً ومضموناً تم الاحتفاظ بها جاهزة في اللّسانيّات البنيوية والتوليدية على السواء من دون أي تعريف جديد لها، رغم أنّ اللّسانيّات الحديثة عملت على تغيير أساليب ضبطها وتحديدها من الناحية الشّكلية والإجرائية. "إنّ تشومسكي على سبيل المثال لم يقدم دليلاً تركيبيّاً واحداً قطّ لرتبة أنواع الصِّيغ التي تظهر في قواعد نحوه. إنه يَحْدِسُ ببساطة أنّ المصطلحات التي ورثناها من الإسكندريّين (اسم- فعل- حرف) هي الأكثر صحة"[2].

1-غلفان مصطفى وحافظ اسماعيلي علوي ومحمد الملاخ، اللّسانيّات التوليدية – من النظرية المعيار إلى البرنامج الأدنوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م، ص 143

2- جيفري سامبسون، المدارس اللغوية – التطور والصراع- ت: أحمد الكراعين، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص160.

ولم تَسْلَمِ اللّسانيّات المعاصرةُ بدورها من هذا التفاعل الإيجابي بين مختلف النظريّات اللّغويّة والاتجاهات المشكّلة لها، وهو التّفاعل القائم على التّعديل والاحتواء والتجاوز. وفي هذا السّياق يبدو لكثير من مؤرخيّ اللّسانيات أنّ اللّسانيّات التّوزيعيّة مع بلومفيلد استمرار لتقاليد محدّدة عرفها النّحاة الجدد أو النّحاةالشباب في نهاية القرن التّاسع عشر، وأنّ النّحو التّوليديّ عند تشومسكي أَسّسَ بدوره على نماذج توزيعيّة. وبَيْنَ اللّسانيّات في صورتها البنيويّة علاقة مباشرة، حيث إن اللّسانيات المعاصرة تعمل في إطار نماذج على درجة عالية من التجريد والصورية، وتشترط مجموع الحقائق والمعطيات التي تمَّت مُلاحَظَتُها في اللّغويّات التّقليديّة. ومن هذا المنظور، فاللّسانيّات المعاصرة ليست علماً قائماً في فراغ، بل هي امتداد حتى للّغويات التّقليديّة. من جهة ثانية، ليس بإمكان متتبع تطوّرات البحث اللّغويّ أن يُنْكِرَ القطيعةَ التي أحدثتها اللّسانيّات مع الفكر اللّغويّ القديم. لقد تمّ التّخليّ عن كثير من الأفكار الفلسفيّة المتعلّقة بأصل اللّغات ونشأتها وما شابه ذلك، إضافة إلى ما جاءت به اللّسانيات من روح نظرية ومنهجية جديدة قائمة على الوضوح والدقة في أدوات التّحليل وتقنيّاته.

إنّ القطيعة مع الفكر اللّغويّ القديم تتجلّى في مجمل المتطلّبات الجديدة التي طرحتها اللّسانيّات والمتعلّقة بتحديد موضوع اللّسانيّات، وضبط المفاهيم والأدوات الإجرائيّة الأساسيّة لمقاربته، علاوة على الرغبة المنهجيّة في استقلالية اللّسانيّات ذاتها والاستفادة من مجالات العلوم الأخرى سواء أكانت علوماَ إنسانيّة أم علوماَ دقيقة.

يصعب إذن، الحديث عملياً عن كون اللّسانيّات الحديثة تشكّل بالفعل قطيعة تامة مع تاريخها، أو أنّها استمرار له. إنّها في ضوء الأمثلة السّابقة على سبيل التمثيل لا الحصر، نموذج فريد في تاريخ العلوم. إنها استمرار وقطيعة في الوقت ذاته. وليس الأمر من باب التوفيق المصطنع بين المتقابلين. إن القطيعة القائمة على الإلغاء التامّ للتصوّرات اللّغويّة السّابقة أو القديمة من حيث هي مفاهيم ومصطلحات لم تتم بعدُ في مجال اللّسانيّات.

وفي جميع الحضارات الإنسانيّة نجد اهتماماً باللّغة وإدراكاً لبعض الجوانب الأساسيّة منها، فيما يتعلق ببنيتها الصّوتيّة أو النّحويّة، أو بطبيعتها العامّة باعتبارها نظاماً للتواصل بين أفراد المجتمع[1]. إنّ الحديث عن اللّسانيّات لا يمكن فهمه إلا في الإطار التّاريخيّ للبحث اللّغويّ الإنساني والشروط المعرفيّة العامّة التي

[1]- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة، بيروت، 1972م، ص 82 -

أنتجته؛ أي في ضوء الممارسات اللّغويّة السّابقة. والدّليل الواضح على هذا التّداخل الثّقافي في مجال دراسة اللّغة، ما يقف عليه متتبع تاريخ الفكر اللّغويّ من أوجه التّشابه و التّقارب بين الفكر اللّغويّ الإنسانيّ القديم في مختلف الثّقافات و الحضارات من خلال وضوح مظاهر التّفاعل والتّأثير المتبادل، سواء أتعلّق الأمر بنشأة المباحث اللّغويّة والنّحويّة، أم بالتّشابه الكبير في طرائق التّحليل اللّغويّ، أم بالمواقف الفكريّة العامّة إزاء مشاكل لغويّة معيّنة.

3- موضوع اللّسانيّات:

من المعلوم لدى دارسي المناهج العلميّة، أنّ العلم لا يقوم إلّا إذا حُدِّد موضوعه أوّلاً، ثم المنهج ثانياً. يقال عادة إنّ "الموضوع هو الذي يخلق المنهج"[1]. أما في مجال اللّسانيّات فليس الأمر كذلك، نحتاج إلى تحديد المنهج أوّلاً، ثم الموضوع ثانياً. إنّ وجهة النّظر هي التي تخلق الموضوع بحسب تعبير دي سوسير:

تحتاج اللّسانيّات عكس العلوم الأخرى إلى تعريف مُسْبَق للموضوع الذي سَتَبْحَثُ فيه. ومن هذا المنطلق المنهجيّ، بدأ دو سوسير تحديد موضوع اللّسانيّات، مميّزاً بين مفهومين أساسيّين غالباً ما يختلطان في أذهان كثير من الدّارسين هما مفهوما: المادّة والموضوع. وقد بيّن دو سوسير بوضوح أنّ مادة اللّسانيّات ليست ما تَعَارَفَ عليه القدماء حين حصروها في لغة النّصوص القديمة، ولغة الأدب الرّاقي المكتوب مع ما ترتّب على ذلك من إهمال واضح للهجات الحديث اليوميّ، وإقصاء متعمَّد لها، ولباقي أشكال التّعبير البشريّ.

إنّ المادّة التي ينبغي أن ينصبَّ عليها البحث اللّغويّ بحسب دو سوسير، يجب أن "تشتمل جميع مظاهر الكلام البشريّ، سواء أتعلّق الأمر بكلام الشّعوب المتوحّشة، أم بكلام الأمم المتحضّرة، وسواء أتعلق الأمر بلغة العصور الكلاسيكيّة، أم بلغة عصور الانحطاط، مع الاهتمام ليس باللّغة الصّحيحة فقط، أو باللّغة الجميلة، وإنّما بكل أشكال التّعبير الإنسانيّ"[2]. وبهذا التّمييز يكون دو سوسير قد جعل اللّسانيّات تعانق الوّاقع اللّغويّ؛ من خلال العناية بلغة الحياة اليومية؛ مهما كانت قيمتها الحضارية والتّعبيريّة، ودرجة أدبيّتها ومستوى انتشارها.

يَتَّضِحُ مِمَّا تَقَدَّمَ، تأكيد دو سوسير على أهمّيّة اللّهجات وقيمتها في الدرس اللّسانيّ الحديث، وهو ما يُفَسِّرُ اهتمام اللّسانيّين المحدثين باللّهجات، واللّغات المحليّة إلى جانب اللّغات الرّسميّة، أو اللّغات الأدبيّة العتيقة.

[1]- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، مرجع سابق، ص 209

[2]- المرجع نفسه، ص210.

و الاهتمام باللّهجات والحديث اليومي العادّي، يعني اعتماد المستوى المنطوق قبل المستوى المكتوب. كما حدّد دو سوسير دور اللّسانيّ الجديد في تناول هذه "المادّة". فليس للباحث اللّسانيّ أن يتناول المادّة اللّغويّة كما يحلو له، ولكنّ مهمته في نظر دو سوسير تتحدد فيما يلي:

– وصف كلّ الألسن التي يمكن الوصول اليها؛ ووضع تاريخ لها. وهذا يقتضي وضع تاريخ للأسر اللّغوية، ومحاولة بناء اللّسان الأمّ لكل أسرة أو فصيلة لغويّة.

– البحث عن القوى الموجودة بصفة دائمة وشاملة في كل لسان؛ مع استنتاج القوانين التي يمكن أن نردّ اليها بعض المظاهر الخاصّة في تاريخ لسان معيّن.

– تحديد اللّسانيّات و تعريفها بنفسها.

يَتَبَدَّى مما سَبَقَ، أنّ دور اللّسانيّ جديدٌ بالقياس على ما كان عليه الأمر قبل دو سوسير. كان اللّغويّ سابقاً يَدْرُسُ اللّغة لأسباب غير محدّدة سلفاً. ولم يكن وصف اللّسان وصفاً موضوعيّاً هدفاً في ذاته إلّا في حالات نادرة، بل كان لأجل غايات أخرى؛ منها الدّينيّ ، والأدبيّ، والفلسفيّ، والتّربويّ إلى غير ذلك من الغايات والأهداف التي حاول اللّغويّون القدماء الوصول إليها من خلال دراستهم للغة.

وساد الاعتقاد قبل دو سوسير؛ ومع التّاريخانيّين على وجه التّحديد، أنّ القوانين اللّغويّة عمياءُ لا يُمْكِن التخلص منها، لأنّها قوانين طبيعية خارجة عن إرادة المتكلّمين بلسان معين. أما دو سوسير؛ فيرى أنّه بالإمكان الوصول إلى هذه القوانين التي يصفها بأنها "**قوى متضاربة**"، وذلك لوصفها والتقعيد لها. ومُهِمَّة البحث عن القواعد العامة الراهنة المتحكّمة في اللّغة من المهامّ الجديدة للّسانيّ، لما سيكون لها من أثر إيجابي في تطوّر الدّرس اللّسانيّ الحديث، بالنظر إلى الأبعاد المنهجيّة التي سيتخذها هذا المنحى في البحث اللّسانيّ بعد دو سوسير.

4– خصائص اللّسانيّات:

تختلف اللّسانيّات عن علوم اللّغة عند الغربيين قبل القرن التاسع عشر في كثير من الخصائص، ويرى جون ليونز أنَّ أهمّ هذه الخصائص هو[1]:

– أنَّ اللّسانيّات تتَّصف بالاستقلال، وهذا مظهر من مظاهر علميَّتها. على حين أنَّ النّحو التّقليديّ كان يتصل بالفلسفة والمنطق، بل كان خاضعاً لهما في بعض الأحيان.

[1]– أحمد محمد مقدور، مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429هـ–2008م، ص15.

– تهتم اللّسانيّات باللّغة المنطوقة قبل المكتوبة؛ على حيم أنّ علوم اللغة التّقليديّة فعلت العكس.

– تعنى اللّسانيات باللهجات ولا تفضل الفصحى على غيرها، على النحو الذي كان سائداً من قبل. فاللهجات على اختلافها وتعدُّدها لا تقلُّ أهمية عن سواها من مستويات الاستخدام اللّغويّ.

– تسعى اللّسانيّات إلى بناء نظرية لسانيّة لها صفة العموم، إذ يمكن على أساسها دراسة جميع اللغات الإنسانية ووصفها.

– لا تقيم اللّسانيّات وزناً للفروق بين اللغات البدائية واللغات المتحضِّرة، لأنها جميعاً جديرة بالدرس دونما تمييز أو انحياز مسبق.

– تدرس اللّسانيّات اللغة في كلّيتها وعلى صعيد واحد، ضمن تسلسل متدرِج من الأصوات إلى الدلالة مروراً بالجوانب الصرفية والنحوية.

5– أهم مناهج اللّسانيّات:

عندما حل القرن التاسع عشر، شهدت الدراسات اللّغويّة تطوراً كبيراً، حيث عرفت منهجين هما:

أ) المنهج الوصفي. ب)المنهج التاريخي.

أ) المنهجالوصفي:

إن أهم ما يميّز اللّسانيّات الحديثة التي تستخدم المنهج العلمي في دراسة اللّغة من المناهج التقليديّة، هو أنها تنظر إلى اللّغة نظرة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر اللّغويّة الموجودة بالفعل، ولا تهدف من ذلك إلى وضع قواعد تفرضها على المتكلمين باللّغة[1].

ويعود الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدّرس اللّسانيّ إلى"ديسوسير"، فهو يعنى بوصف اللّغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، وهذا ما قرره دي سوسير**أن موضوع الدّراسة اللّغويّة الوحيد والحقيقي هو اللّغة، التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته يبحث فيها لذاتها**. وابتعد بذلك عن النظر في اللّغات من وجهة النظر التاريخية أو المقارنة[2].

كما أن الوصفيين لم يقتفوا أثر القواعد النّحويّة التّقليديّة لأنها تأسست على لغات قديمة لم تعد مستعملة، كما أن أصحاب هذه الدراسة عدُّوا الصورة المكتوبة للّغة أساساً في البحث. وفي هذا المجال يقول "ماريو

[1]– بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، دط، دس، ص 67– 68

[2]– زوين علي، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، بغداد، ط1، 1986م، ص10.

باي":" إنّ علم اللّغة الوصفي يمكن أن يوصف بأنه علم ساكن، ففيه توصف اللّغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في صورة زمنية معينة ليس ضرورياً أن تكون في الزمن الحاضر"[1].

وللمنهج الوصفي أسس عامّة تتوزعها أفكار تنظيميّة للمنهج، وقواعد عملية في التحليل، منها أنّ الوصف لأي لغة ينبغي أن يبدأ من الصورة المنطوقة إلى الصورة المكتوبة باعتبار أنّ اللّغة لها وجهان: وجه الكلام، ووجه الكتابة، متخذا ثلاثة طرق متكاملة في تحليل الظاهرة اللّغويّة وهي: استقراء الظاهرة (المادّة اللّغويّة) مشافهة، ثم تقسيمها أقساما وتسمية كل قسم منها، ثم وضع المصطلحات الدّالة على هذه الأقسام لتصل بعد ذلك إلى وضع القواعد الكلية والجزئية التي نتجت عن الاستقراء، ولعالم اللّغة الوصفي قواعد عملية يجب أن يتبعها في التحليل اللّغوي

وهي كالتالي:

1- الاهتمام الخاص بالأصوات والصيغ النحوية للغة المتكلّمة.

2- معرفته بالأسس الفونيميةوالمورفيمية التي تسمح بوصف تفصيلي دقيق.

3-إن مجال بحث اللّسانيّ الصوتي يتمثل في حقل اللّغات الحية حيث يمكن تزويد الباحث بأحد أبناء اللّغة الذين يتكلمون بها وهو الراوي اللّغوي.

4-**الخطة المزدوجة** التي تجمع بين جمع المادة ثم فحصها ومقارنتها تبدأ على شكل أسئلة صيغت خصيصاً ليمكن عن طريق توجيهها إلى الراوي أن تكشف عن كيفية التعبير عن أشياء معينة في لغته، وعادة ما يندرج الباحث من الكلمات القصيرة السهلة إلى التعبيرات الأطول والجمل الكاملة، أما الإجابات فيجب أن تكتب بالرموز الصوتية، وكلما سجلت تفصيلات أكثر كان أفضل، وربما استخدام جهاز التسجيل أو الأسطوانات[2].

ولقد حققت اللّسانيّات الوصفية في القرن العشرين نهضة كبرى أدت إلى كثير من التطورات المهمة في اللّسانيات المعاصرة، وكان القرن التاسع عشر حاملاً لكثير من الإرهاصات لهذا العلم الحديث[3].

بالإضافة إلى هذا؛ شهد القرن العشرين ميلاد مدارس وصفية متعددة، أهمها:

[1]- باي ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط8، 1998م، ص 137

[2]- زوين علي، منهج البحث اللغوي، مرجع سابق، ص11.

[3]- رمضان عبد التواب، المدخل غلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1980م، ص 182.

1) المدرسة البنيوية بمختلف اتجاهاتها.

2) مدرسة النحو التوليدي التحويلي.

3) اتجاه القوالب.

ب)**المنهج التاريخي:**

إن الدراسة التاريخية لا تقوم إلا بعد الفراغ من دراسة المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللّغة دراسة وصفية. ومن النظر في هذه الدراسات الصوتية للمراحل يأتي تدوين تاريخ هذه اللّغة صوتياً وفونولوجياً ونحوياً ومعجمياً ودلالياً[1].

والمنهج التاريخي يدرس اللّغة دراسة طولية، بمعنى أنه يتبع الظاهرة اللّغويّة في عصور مختلفة وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من التطور، محاولاً الوقوف على سر هذا التطور وقوانينه المختلفة. يقول **ماريو باي:** " إن علم اللّغة التاريخي يتميز بفعالية مستمرة، فهو يدرس اللّغة من خلال تغيراتها المختلفة"[2]. ويعنى المنهج التاريخي في دراسة اللّغات بالتغير الدلالي للّغة ومراحل تطور لغة واحدة أو مجموعة من اللّغات عبرمسيرتها. ومن أهم الأسس التي اعتمد عليها في التحليل هو مفهوم الحركة أو الفاعلية المستمرة، بهدف الكشف عن الاتجاهات المختلفة في التغير اللّغوي من خلال الوصول إلى العوامل التاريخية التي ساعدت على التغير، ويعد (علم اللّغة) أو (علم المعنى) من الفروع الأساسية في البحث اللّغوي التاريخي وبخاصة مايتعلق منه بالمفردات وأصولها التاريخية الاشتقاقية، وتغيرها الدلالي في المراحل المختلفة من عمر اللّغة المعنية.

6- فروع اللّسانيّات:

يدرس اللّسانيّون اللّغة من جوانب مختلفة وفقاً لأغراضهم المتنوعة، و اهتماماتهم المختلفة، وقد نتج عن ذلك نشأة فروع مختلفة للّسانيّات منها:

1-اللّسانيّات العامةواللّسانيّات الوصفية:

يفرق اللّسانيّون بين ما يعرف عندهم باللّسانيّات العامّة واللّسانيّات الوصفية. ويُعنى الأوّل بدراسة اللّغة من حيث هي بوصفها ظاهرة بشرية تميز الانسان عن الحيوان، ونظاما يتميز عن الأنظمة الإبلاغية الأخرى،

[1]- السعران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، 1999م، ص 198.

[2]- باي ماريو، أسس علم اللغة، مرجع سابق، ص 142.

في حين يتناول الثاني وصف لغة ما كالعربية، أو غيرها.وكما هو واضح، فإن التفريق يتصل اتصالاً وثيقاً بالتفريق بين اللّغة بوصفها ظاهرة عامة،واللّغة المعينة.

ويستفيد كلا الفرعين من النتائج التي يصل إليها الآخر. "فاللّسانيات العامّة تقدم المفاهيم، والمقولات التي تحلل بها اللّغات المعينة، في حين تقدم اللّسانيات الوصفية المادة التي تؤيد، أو تدحض القضايا، والنظريات التي تتناولها اللّسانيّات العامّة. وعلى سبيل المثال، فقد يفترض المتخصص في اللّسانيّات العامّة أن كل اللّغات تحتوي على أسماء، وأفعال، فيقوم المتخصص في اللّسانيات الوصفية بدحض ذلك بدليل عملي مفاده أن ثمة لغة واحدة على الأقل لا يمكن أن يثبت وصفها التمييز بين أسماء، وأفعال. ولكن لكي يؤيد، أو يدحض اللّسانيّ الوصفيّ هذا الإفتراض ، عليه أن يتعامل مع مفهومي الاسم، والفعل اللذين زوده بهما المتخصص في اللسانيات العامة"[1]. وهكذا فإن الدراسات الوصفية للغات بعينها تؤول إلى صوغ الخصائص العامة التي تشترك فيها جميع اللغات.

ويجدر بالذكر هنا أن نشير إلى تداخل بين اهتمامات اللسانيات الوصفية، واهتمامات فقه اللغة، غير أن أبرز ما يميزهما الاختلاف في المنهج حيث يتبع المهتمون بالمجال الأول منهجاً وصفياً تزامنياً يدرس اللّغة في مرحلة معينة دون نظر إلى تطوراتها التاريخية في حين يتناول فقهاء اللّغة اللّغات المدروسة من الجانبين التاريخيّ، والآني.

2-اللّسانيّات التاريخيّة:

لقد اتسم البحث اللّغوي في القرن التاسع عشر بالطابع التاريخيّ الذي يتناول تطور اللّغة عبر العصور، وقد شاع بين اللّغويين آنذاك النظر إلى اللّغة على أنها كائن حي كالنباتات، والحيوانات متأثرين في ذلك بنظرية التطور في علم الأحياء التي صاغها داروين في كتابه أصل الأنواع. وكان هناك خلط منهجي في البحث اللغوي بين دراسة اللّغة دراسة تاريخية، ودراستها دراسة آنية. وكان للّسانيّفرديناند دو سوسور فضل في التمييز بين المنهجين، فقد فرق بين الدراسات التعاقبية، والدراسات التزامنية، ودعا إلى عدم الخلط بين المنهجين؛ لأنّ تاريخ اللّغة، وتطور الكلمات، والتراكيب ليس له صلة بوصفها في فترة معينة من الزمن. ومنذ ذلك الحين غلب الاهتمام بالمنهج التزامني على نظيره التعاقبي، وانحسرت العناية بالدراسات التاريخيّة في عدد قليل من اللّسانيّين.

[1]- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 13.

ومن المهم هنا أن نوضح أنه في اللّسانيّات التاريخية كما هي في غيره يمكن للمرء أن يدرس لغة بعينها، أو يدرس اللغة من حيث هي[1].

3-اللّسانيّات النظرية واللّسانيّات التطبيقية:

ترمي اللّسانيّات النظرية إلى صوغ نظرية لبنية اللّغة، ووظائفها بغض النظر عن التطبيقات العملية التي قد يتضمنها البحث في اللّغات. أما اللّسانيّات التطبيقية فتهتم بتطبيق مفاهيم اللّسانيّات، ونتائجها على عدد من المهام العملية، ولاسيما تدريس اللّغة. و من الإهتمامات الأخرى التي تدخل في مجال اللّسانيّات التطبيقية التخطيط اللّغويّ، و تعلم اللّغة بالحاسوب وعلاقة اللّغة بالتربية، والترجمة، والترجمة الآلية، واللّسانيّات الحاسوبية، والذكاء الاصطناعي، و نحو ذلك. وكثيرا ما تنصرف أذهان الكثيرين عند إطلاق مصطلح اللّسانيّات التطبيقية إلى تعليم اللّغات الأجنبية، وتعلمها. وهكذا فإن طرائق اكتساب اللّغات، ولاسيما الأجنبية منها، من أهم أشغولات المهتمين باللّسانيّات التطبيقية. وخلافا لبعض مدارس اللّسانيّات النظرية يحرص اللّسانيّون التطبيقيون على الكفاية التخاطبية للمتكلمين التي تتحسن بقدر إقحام المتكلم نفسه في المواقف التخاطبية الفعلية للغة المتعلمة.

4-اللّسانيّات المضيقة واللّسانيّات الموسعة:

عندما يقصر اللّغويّ اهتماماته البحثية على بينة اللغة، و أنظمتها دون أن يتطرق إلى الأبعاد النفسية، أوالإجتماعية، أو العرقية، أو الأدبية فإنه يبحث في اللّسانيّات المضيقة. أما إذا اختلط البحث ببعض الأبعاد، والجوانب السابقة فسيندرج في اللّسانيات الموسعة التي تشمل:

أ) اللسانيات الاجتماعية: يعرف لاينز هذا العلم بأنه "دراسة اللغة من حيث علاقتها بالمجتمع"[2]، وهو فرع نشأ عن التعاون بين اللسانيات، وعلم الاجتماع الذي يبحث في المعنى الاجتماعي لنظام اللغة، واستخدامها، وزمرة الشروط المشتركة بين البنية اللغوية، والاجتماعي

[1]- سامسون جيفري، مدارس اللّسانيات- التسابق والتطور- ترجمة: محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، الرياض، 1996م، ص4.

[2]- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، مرجع سابق، ص15

ب) اللّسانيّات العرقية (أو الثقافية): وقد عرفها لاينز بأنها "دراسة اللغة من حيث علاقتها بالثقافة"[1]، ولما كانت الثقافة تقتضي مجتمعا، وكان المجتمع خاضعا للثقافة فإن مباحث اللّسانيّات الاجتماعية، واللّسانيّات العرقية بمفهومها الواسع تتداخل إلى حد كبير.

ج) اللّسانيّات النفسية: يتركب المصطلح الأجنبي من كلمتين هما الكلمة الإغريقية بمعنى العقل، أوالذهن، والكلمة اللاتينية التي تعني اللغة ، ويعرف اصطلاحا بأنه "دراسة اللغة، و العقل". وكما لا يخفى فإن العلاقة بين المعنيين اللّغويّ، والاصطلاحي وثيقة جدًا. ومن الموضوعات التي يدرسها هذا العلم كيفية اكتساب اللغة، وإحداثها، وفهمها. ويسعى اللّسانيّون النفسيون إلى التعرف على طبيعة محتوى المكونات الشخصية للقدرة اللّغويّة البشرية، واكتشاف الطرائق التي تربط بها المعرفة اللّغويّة بالاستخدام الفعلي للّغة. ومن القضايا التي تبحثها اللّسانيات النفسية، وتشكل تحديا للمتهمين به التحديد الدقيق للجوانب الوراثية في اللّغة. ومن الآراء المغالية في هذا الشأن ما ذهب إليه تشومسكي من أن كل البنى النحوية، والمفهومية التي تجسد المعرفة اللّغويّة للبالغين موجودة في الأذهان منذ الولادة. غير أن النظرية الأكثر اعتدالا التي يقول بها كثير من الباحثين تكتفي بالقول بأن لدينا نزعة فطرية لفهم اللّغة. وهذا مايفسر كيف أن تعامل الطفل مع التعقيدات اللّغويّة الفائقة أسهل من تعلمه العمليات الحسابية البسيطة كالضرب، والقسمة.

وقد ناقش القضايا الأساسية للّسانيّات النفسيّة في نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين ستينثال، ووندت، وبوهلر. ووضعت التسمية، والتصميم، والمفهوم، والبرنامج لهذا العلم في صيف 1953م في حلقة نقاش في معهد اللّسانيّات بجامعة إنديانا شارك فيها اللّسانيّون، واللّسانيّون النفسيون الأمريكيون. وقرروا أن البنيات اللّغويّة التي يكتشفها اللّسانيّون يمكن دراستها باستخدام مناهج علم النفس، ونظرياته.

د) علم الأسلوبية: هو فرع من اللّسانيات الموسعة يدرس التنوع الأسلوبي في اللغات، والطريقة التي يستثمر بها مستخدموها هذا التنوع. وكثيرا ما يستخدم في معنى أضيق بحيث يقتصر على دراسة لغة النصوص الأدبية. ويذكر لاينز أن هناك خلافا في السنوات الأخيرة بين الدراسات اللّسانيّة، والأدبية ناشئا عن سوء الفهم، والأحكام المسبقة من جهة، ودعاوى قسم من اللّسانيّين، ونقاد الأدب بشأن أهداف تخصص كل منهم، وإنجازاتهم. ويشير إلى أن سوء الفهم، والأحكام المسبقة تقلصت: فاللّسانيّون لم يعودوا معتزين بالقدر الذي كانوا عليه سابقا فيما يتصل بالمكانة العلمية لتخصصهمكما أنهم أكثر حذرا في

[1]- سامسون جيفري، مدارس اللّسانيات، مرجع سابق، ص8.

صوغهم لمبدأ أولوية اللّغة المنطوقة (على المكتوبة)، وفي نقدهم للتحيز الأدبي والمعياري للنّحو التّقليديّ[1]. كما أن بعض نقاد الأدب على الأقل يدركون أن إصرار اللّغويّ على فكرة أن استخدام اللّغة في الأدب ليس هو الاستخدام الوحيد، أو حتى الأساسي للّغة يطرد مع رأيهم في أن الوظائف الأدبية للّغة جديرة بالدراسة على وجه الخصوص. وفضلا عن ذلك، ثمة الكثير من اللّسانيّين الذين يعملون الآن في حقل الأسلوبية الأدبية يجمعون في اهتمامهم بين اللّغة، والأدب معا. ومن موضوعات الأسلوبية العدول (أو الانزياح) الأسلوبي (أي الخروج عن الأساليب المألوفة المتوقعة)، واللبس المقصود ، والجرأة في استخدام المجاز، والتكرار، والجناس، والعروض، والقافية، ونحو ذلك. وهكذا تتشابه اهتمامات الأسلوبين، واهتمامات علماء البلاغة العربية إلى حد ما، وإن كانت المناهج المتبعة مختلفة.

وبينما يهتم النّحو بالبنية القواعديّة للجملة تهتم الأسلوبية بدراسة النص، والاستخدامات الجمالية للّغة، والاستجابات الجمالية للمتلقي. ويبدو أن الأسلوبيين بدؤوا يميلون الآن إلى دراسة النصوص غير الأدبية كصوغ الدليل الإرشادي، وكتابة الرسائل إضافة إلى اهتماماتهم التقليديّة بالرواية، والشعر. وتمتد مجالات البحث في الأساليب لتشمل–علاوة على اللّغة المكتوبة – الإعلانات المسموعة، والنصوص المنطوقة كإعلانات الإذاعة المسموعة، و الخطابات، وحتى المحادثة العادية[2].وعلى وجه العموم، ثمة اعتقاد شائع لدى الأسلوبيين أن الاستجابة الجمالية تحدث عندما تستخدم البنى اللّغويّة على نحو بديع. فمتعة المفاجأة الناشئة عن النظم الفريد، وغير المتوقع يؤدي إلى العناية باللّغة في حد ذاتها بدلا من الرسالة التي تعبر عنها تلك اللّغة.

[1]– سامسون جيفري، مدارس اللّسانيات، مرجع سابق، ص12.

[2]– السعران محمود، علم اللغة، مرجع سابق، ص 210.

الفصل الأول: اللّسانيّات البنيّوية ومدارسها

- ***المبحث الأول:*** مدخل إلى اللّسانيّات البنيّويّة
- ***المبحث الثاني:*** مدرسة جنيف
- ***المبحث الثالث:*** مدرسة براغ الوظيفية
- ***المبحث الرابع:*** المدرسة النسقية
- ***المبحث الخامس:*** المدرسة التوزيعية

المبحث الأول: مدخل إلى اللّسانيّات البنّيويّة:

1-تحديد مصطلح البنية:

أ) الدلالة اللُغوية لكلمة بنية:

تشتقُّ كلمةُ (بنية) من الفعلِ الثلاثيِّ (بنى) وتُعني البناءَ أو الطريقةَ، وكذلك تدلُّ على معنى التشييدِ والعمارةِ والكيفيةِ التي يكون عليها البناءُ، أو الكيفيةُ التي شُيّد عليها[1]، وفي النحو العربي تتأسسُ ثنائيةُ المعنى والمبنى على الطريقةِ التي تُبنى بها وحدات اللغةِ العربيةِ، والتحولات التي تحدثُ فيها .

ولذلك فالزيادةُ في المبنى زيادةٌ في المعنى، فكلّ تحولٍ في البنيةِ يؤدي إلى تحول في الدلالةِ، والبنيةُ موضوعٌ منتظم، له صورتهُ الخاصةُ ووحدتهُ الذاتيةُ؛ لأنَّ كلمةَ (بنية) في أصلها تحملُ معنى المجموعِ والكلِّ المؤلّفِ من ظواهرَ متماسكةٍ، يتوقفُ كلٌّ منها على ما عداه، ويتحدد من خلالِ علاقته بما عداه .

ب)الدلالة الاصطلاحية:

لقد واجه تحديدَ مصطلحِ البنيةِ مجموعةٌ من الاختلافاتِ ناجمةً عن تمظهرِها وتجليها في أشكالٍ متنوعةٍ لا تسمح بتقديمِ قاسمٍ مشتركٍ؛ لذا فإن جان بياجه ارتأى في كتابه (البنيوية) أن إعطاء تعريف موحد للبنية رهينٌ بالتمييز "بين الفكرة المثالية الإيجابية التي تُعطي مفهوم البنية في الصراعات أو في آفاقٍ مختلفةِ أنواعِ البنياتِ، والنوايا النقديةِ التي رافقتْ نشوءَ وتطورَ كلِّ واحدةٍ منها مقابلَ التياراتِ القائمةِ في مختلفِ التعاليم" .

فجان بياجه يقدم لنا تعريفًا للبينةباعتبارها نسقًا من التحولات :" يحتوي على قوانينه الخاصة، علمًا بأنَّ من شأنِ هذا النسقِ أن يظلَّ قائمًا ويزدادَ ثراءً بفضلِ الدور الذي تقومُ به هذه التحولاتُ نفسُها، دون أن يكونَ من شأنِ هذه التحولات أن تخرجَ عن حدودِ ذلك النسقِ أو أن تستعينَ بعناصرَ خارجية، وبإيجاز فالبنيةُ تتألفُ من ثلاثِ خصائصَ: هي الكليةُ والتحولاتُ والضبط الذاتي"[2].

إذن نلاحظ مما سبق أن جان بياجه لا يُعرِّف البنيويةَ بالسلبِ، أي بما تنتقده البنيويةُ؛ لأنه يختلف من فرعٍ إلى فرعٍ في العلومِ الحقةِ والانسانيةِ، فهو يُفرّقُ في تعريفهِ للبنيةِ بين ما تنتقده وما تهدف إليه .

1_ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، ط1، 1990، ص73

2 _بياجيه جان، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط4، 1985م، ص 8

ولذلك نلحظ أنه يركز في تعريفه للبنية على الهدف الأمثل الذي يوحدُ مختلفَ فروع المعرفة في تحديد البنية باعتبارها سعيًا وراءَ تحقيق معقولية كامنة، عن طريق تكوين بناءات مكتفية بنفسها، لا تحتاج من أجل بلوغها إلى العناصر الخارجية .

كما نلحظ أنَّ التعريفَ السابقَ يتضمنُ جملةً من السّمات المميزةفالبنيةُ أولاً نسقٌ من التحولات الخارجية، وثانيًا لا يحتاجُ هذا النسقُ لأي عنصرٍ خارجيٍّ، فهو يتطورُ ويتوسعُ من الداخل، مما يضمنُ للبنية استقلالاً ويسمحُ للباحث بتعقل هذه البنية.

2- البنيويّة في إطارها المعرفّي العام:

يأخذ المنهج اللّسانيّ البنيويّ حيّزاً واسعاً من اهتمام الدّارسين في اللّسانيّات والعلوم الإنسانيّة على السواء. ومردّ ذلك، إلى أنّ المنهج المستمدّ أصلاً من المفاهيم النّظريّة والإجرائية التي اقترحتها اللّسانيّات العامّة في بداية القرن العشرين، لاسيما الأفكار الواردة عند دو سوسير ومن جاء بعده، قد ساهم بشكل كبير في تطوير العلوم الإنسانيّة بصفة عامة[1].

ولم تعد المنهجيّة البنيويّة تقتصر على المجال اللّسانيّ وحده، بل تُبَنْيِن كلّ شيء، إذا جاز لنا أن نستعمل هذا التعبير. تَبنين المجتمع واللّاشعور والثقافة والأدب والفكر والسينما والمسرح والمطبخ واللّباس والإعلانات الإشعارية وكل مرافق الحياة الإجتماعية والسّياسيّة والفكرية والاقتصاديّة. يظهر ذلك في أعمال ليفي ستروس (1908-...) وجان لاكان (1901-1918) ورومان ياكبسون (1896-1982) ورولان بارت (1915-1980) وكريستيانميتز (1931-1993) وإدغار موران 1921 ولويس ألتوسير (1918-1990) وميشال فوكو (1926-1984) وغيرهم.

ونظراً إلى الإشعاع غير المحدود للمنهجيّة البنيويّة، من الخطأ الاعتقاد بوجود تيّار بنيويّ متجانس أو مذهب فكريّ موحّد، بل العكس هو الصّحيح، إذ نلاحظ تعدّداً في الرّؤى، وتعدّداً في الأدوات، وتعدّداً في المفاهيم والمصطلحات، وتعدّداً في التّطبيق والتّحليل، وتعدّداً في المواقف والنّتائج...

للأسباب السّابقة، يصعب ادّعاء تحديد الخصائص العامّة للمنهجيّة البنيّويّة ولو اقتصر الأمر على مجال معرفيّ واحد كاللّسانيّات أو النّقد الأدبيّ أو الفكر.

فليس هناك منهجيّة بنيّويّة واحدة، ولكن، هناك بنيويّون لكلّ منهم شخصيته وأصالته الخاصّة.

1_غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2010م، ص245

يرى عالم النّفس جان بياجيه أنّه على الرغّم من الاختلاف الذي يطبع المذهب البنيويّ، من حيث تعدّد أشكاله وتوجّهاته، يمكن الاعتراف بوجود نوع من المثال المشترك الذي بحث فيه وعنه كلّ البنيويّين[1]. ونظراً إلى استحالة الوقوف على مجمل الاختلافات الفرديّة أو الجماعيّة التي تميّز سائر البنيويّين في أوروبا وأمريكا، لايسعنا إلا أن نبحث في القواسم المشتركة التي تضمّ هذا الحشد الهائل من رجالات الفكر والمعرفة في القرن العشرين.

والحقيقة أنّه لا يمكن فهم التّطورات والتّحولات النّظريّة والمنهجيّة التي حصلت في مجال اللّسانيّات عموماً وظهور ما سُمِّي باللّسانيّات البنيّوية بصفة خاصة، من دون الرجوع إلى الإطار المعرفيّ الذي يعد من النّاحية التّاريخيّة، عاملاً أساسيّاً في ظهور المنهجيّة اللّسانيّة الجديدة في صورتها البنيويّة أوّلاً، ثمّ في تطوّرها ثانياً.

لقد راكمت الثّقافة الغربيّة الحديثة خلال القرن التّاسع عشر جملة من المكتسبات العلميّة والمنهجيّة التي قادت إلى انبثاق مناهج جديدة صاحبت ظهور ما يعرف بالعلوم الإنسانيّة التي تُعَدّ في الواقع آخر مبتكرات الفكر الغربيّ الحديث. وقد شكّل الفكر الوضعيّ الأرضيّة الفلسفيّة التي قامت عليها المناهج العلميّة الحديثة، سواء في مجال العلوم الصّرف أو في مجال العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة لاحقاً.

كان هدف العلم في القرن التّاسع عشر تجميع الحقائق وإعادة تنظيمها، ثم بناءها بشكل موضوعيّ؛ إمّا مادّيّاً أو تصوّرياً، وهو ما جعل الاعتماد على المعطيات والوقائع المادّيّة الملموسة أمراً جوهريّاً في المقاربات المختلفة التي تمّ اللّجوء إليها في العلوم. ومع تقدم العلم والمعرفة، اتّضح من جديد أنّ الظواهر المدروسة في كلّ المجالات المعرفيّة ليست بهذه السهولة التي كان يُنظر إليها، سواء أتعلّق الأمر بالظّواهر الكونية او بالظّواهر الإنسانية والاجتماعية (لغة/ثقافة/مجتمع/نفس). وعرفت العديد من العلوم الصّرف جملة من التحوّلات التّصوّريّة التي قادت إلى ما يشبه الثّورات في تصوّر القضايا وتصوّر الحلول، فجاءت المنجزات العلمية الكبرى في مجال البيولوجيا، وكانت التّعديلات المنطقيّة والرّيّاضية الجذريّة في إطار ما عُرف بأزمة الأسس في الرّيّاضيّات، وأخيراً حصلت الثّورة المعرفيّة الكبرى في العلوم الفيزيائيّة، مع ظهور النّظريّة النّسبيّة لأنشتاين (1879-1955)، وهذه الأمثلة أبرز المعالم وليس كلّها وهي ليست نهاية البحث والاستكشاف العلميّ. وكان لهذه التصوّرات الجديدة نتائج

1_بياجيه جان، البنيوية، مصدر سابق، ص5

إيجابيّة على المعرفة الإنسانيّة، إذ مكّنت من تفسير جديد للكثير من الظّواهر الكونيّة والبشريّة التي كانت تعتبر قبل الآن غامضة، أو مستعصية على الإدراك.

وبالمثل، عرفت العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة ظهور تصوّرات ومقاربات جديدة للسّلوك البشريّ وللنّسيج الاجتماعيّ، لاسيّما مع ظهور الجشطلت (نظريّة الشّكل) والنّظريّة السُّلوكيّة المتأثّرة بالعلوم الفيزيولوجيّة مع بافلوف(1849-1936). كما أحدث التّحليل النّفسيّ الذي وضع أسسه فرويد (1856-1939) ثورة حقيقيّة في فهم الطّبيعة النّفسيّة الواعية واللّاواعية للكائن البشريّ.

هذه التّحوّلات العلميّة وغيرها دفعت المفكّرين والعلماء إلى إعادة النّظر في مقوّمات "العلم" وأسسه المنهجيّة. ولم يعد الهدف من العلم جمع المعطيات وتصنيفها، مثلما كان الأمر في المنهج التجريبيّ، وإنما السّعي إلى محاولة تفسير الظّواهر والتّنبؤ بها من خلال البحث الشّموليّ عن الخصائص الثّابتة وغير المتحولة. إن أساس الفكر العلمي الحديث يقوم على اعتبار العالم بنية منظّمة ومنتظمة، وليس جملة من الظّواهر المتفرِّقة والمعزولة تسير بعفويّة وصدفة.

وشكّلت علاقة المعطيات بالمنهج في العلوم الإنسانيّة بداية منعطف جديد حاولت من خلاله العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة البحث عن درجة قصوى من الموضوعيّة، محاولة بذلك الاقتراب ما أمكن من العلوم الصّرف ضبطاً ودقّة[1].

وفي هذا الإطار العامّ، يمكننا أن ندرك التّحوّلات التي صاحبت الدّرس اللّغويّ منذ القرن الثّامن عشر، سواء في اقتراح مقاربة جديدة للّغة، أو في نظرتها إلى الوقائع اللّغويّة. وفي أفكار وتصوّرات دو سوسير الواردة في محاضراته ما يبين بروز مثل هذه الأفكار الجديدة في فهم حقيقة اللّغة الإنسانيّة وطبيعتها وكيفيّة التّعامل معها. ولم يكن دو سوسير سوى تطوير نوعيّ لأفكار فرانز بوب وشلايشر فيما يتعلق باستقلاليّة اللّسانيّات وعلميّتها من حيث تحديد الموضوع والمنهج والغاية من الدّراسة.

فمع اللّسانيّات التي دشّنها دو سوسير، أصبح ينظر إلى اللّغة على أنها "موضوع" معرفة مستقلّة قابلة للدّراسة المنتظمة، باعتبارها جملة من الأحداث والوقائع المعقدة على عكس ما تبدو عليه في واقعها المادّي الملموس. وأصبح هدف التّحليل الوقوف على العلاقات والوظائف التي تجمع بين الوحدات المكوّنة للّغة في مختلف المستويات، بعيداً عن العوامل الخارجيّة، أيّاً كانت طبيعتها، وليس بحسب الطّبيعة المادّيّة أو الخصائص التّاريخيّة الفرديّة والمتغيّرة بالصّدفة، كما تُقر بذلك اللّسانيّات المقارنة

[1] _غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة، المصدر السابق، ص248

والتّاريخيّة في تعاملها مع الوقائع اللّغويّة، باعتبارها وقائع منعزلة ومنفصلة بعضها عن بعض، سواء في واقعها الحالي أو في سيرورتها التّاريخيّة.

وساهم الفكر العلمي الجديد، الذي أشرنا سابقاً إلى بعض سماته الجديدة، في بلورة أسس منهجيّة جديدة قادت إلى منطلقات فكريّة لم تكن مألوفة، من قبل، نذكر منها مايلي:

- وضع تصوّرات جديدة للتّنظيم المنهجيّ للمعرفة وللظّواهر المدروسة.
- تفسير الوقائع المدروسة بطريقة مغايرة وعلى نحو جديد (مراجعة المقاربة التّجريبيّة بأسسها المعروفة).
- تداخل الاختصاصات لإنجاز مهامّ معرفيّة واسعة النّطاق.
- نقل الإجراءات المنهجيّة من فروع علميّة دقيقة إلى مجال العلوم الإنسانيّة[1].

ومن نتائج هذا التّفكير الجديد في مجال اللّسانيّات الحديثة، اتّساع المعطيات اللّغويّة المعتمدة على عكس ما كان معمولاً به في المقاربتين المقارنة والتّاريخيّة اللتين حصرتا اهتماماتهما اللّغويّة في اللّغات الهندو-أوروبية، أو اللّغات ذات الحضارات الكبرى، لاسيما ما كان منها أوروبياً. وهكذا فتحت المعطيات الجديدة المتراكمة الباب أمام تخصّصات وفروع لسانيّة جديدة ليس هنا مجال الخوض فيها.

وفي خضمّ هذه المتغيّرات التي صاحبت تطوّر المعرفة العلميّة، أصبح للمنهج دور بالغ الأهميّة في كلّ نشاط فكريّ يروم الموضوعيّة والعلميّة. فالمنهج يسمح بوصف دقيق للظّواهر المبحوث فيها. وهو أيضاً يمكّن من المقارنة بين الظّواهر قصد معالجة أشمل وأعمق. وأخيراً يُعَد المنهج وسيلة فعّالة نحو صوغ القوانين والقواعد العامّة، سواء انطلاقاً من الملاحظات أو من الافتراضات العامّة.

في سياق الاهتمام المتزايد بالمناهج ودورها في المعرفة العلميّة، شكّلت المنهجيّة البنيويّة المستمدّة من اللّسانيّات محاولة جادّة لجعل الإنسان محلّ دراسة علميّة موضوعيّة ودقيقة على غرار ماهو معمول به في العلوم الأخرى. ويُعَدُّ دو سوسير في مجال اللّسانيّات وليفي ستروس في مجال الأنتروبولوجيا نموذجين متميّزين ورائدين في حقل العلوم الإنسانيّة.

وكان للّسانيّات الحديثة النشأة دور في انبثاق المنهج البنيويّ، وفي تحقيق القفزة النّوعيّة التي حصلت في مناهج العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة بكيفيّة غير مسبوقة. وهكذا كان لسوسير أولاً ولمن جاء بعده، لا سيّما تروبتسكويوياكبسون دور بارز في الدّفع بعجلة البحث اللّسانيّ نحو آفاق جديدة،

[1] ـ إيفتشميلكا، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة:سعد مصلوح ووفاء كامل، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2،2002، ص103

كما كان لليفي ستروس الدور نفسه في استثمار المنهجيّة البنيويّة المستمدّة من اللّسانيّات، كما تشهد على ذلك أعماله العديدة، المتعلّقة بدراسة علاقة القرابة والدم والأسطورة في المجتمعات البدائية.

واكتسبت المنهجيّة البنيويّة قيمتها المعرفيّة انطلاقاً من دفاعها الواضح وموقفها البيّن إزاء دراسة قضايا الإنسان بكل أبعاده اللّغويّة والنّفسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، حيث تمّ التّأكيد على دور العلوم الصّرف، وأهمّيّة المنهج في المباحث الإنسانيّة والاجتماعيّة. وترفض المنهجيّة البنيويّة القول بضرورة وجود نموذج معرفيّ وعلميّ خاصّ بالإنسان، كما كان يُرَوّج لذلك في بعض الاتّجاهات الاجتماعيّة في مرحلة ما قبل البنيويّة، من خلال القول بخصوصية الإنسان وقضاياه المعقّدة. إنّ هذا الموقف المعرفيّ والمنهجيّ هو الذي جعل البعض يقول بأنّ " البنيويّة في أساسها نظريّة في العلم (إبستيمولوجيا) تؤكد على أهميّة النّموذج في كلّ معرفة علميّة، وتجعل للعلاقات الدّاخليّة والنّسق الباطن قيمة كبرى في اكتساب أيّ علم"[1].

3-مبادئ اللّسانيّات البنّيويّة:

تشمل اللّسانيّات البنيويّة عدَّة تيَّارات لسانيَّة، انطلاقاً من دي سوسير إلى التيَّارات المختلفة التي تظهر بعده، كتاب دي سوسير ذروة جهود واستباقات في دراسة اللُّغة، تبشِّر بأوَّل مقترب بنيوي لها، فشهدت العقود الخمسة اللّاحقة تقدُّماً نشيطاً لم يسبق له مثيل.

وتقوم الفكرة البنيويَّة على" أنَّ القضيَّة الأساسيّة عند البنيويّة هي أنّ كلّ اللّغة، كلّ (النّصوص): بناء المعنى مأخوذ من معجم ليس لمفرداته معان خارج البناء الذي يضمّها". وينظر إلى النّص من خلال هذا البناء، بدءاً من الجزء إلى الكلّ؛ من الفونيمات إلى الوحدات الأكبر (الكلمات)، ثمّ الأكبر (الجمل)... وهكذا. كما أنّها تلحّ على الوظيفة الاجتماعيّة للّغة، وتميّز بين الظّواهر التّاريخيّة لها، والخصائص المميّزة للنظام اللّغوي في لحظة زمنية معيّنة.

وينبغي الإشارة إلى أنّ مثل هذه المبادئ، وأفكاراً أخرى، وردت عند اللّغويّين في قرون قليلة قريبة من القرن التّاسع عشر، لكن جهودهم كانت معزولة، ولم تحظ بالاهتمام. يقول (رومان ياكبسون) في ذلك: "تعود أغلب المفاهيم والمبادئ النّظريّة الرّئيسية التي قدّمها سوسير إلى معاصِريه الأكبر سنّاً

[1] _فؤاد زكرياء، الجذور الفلسفية للبنائية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت،1980، ص9

منه، وهما بادون دي كورتني، وكروسزفسكي... و-في المحاضرات- تشديد فعّال على التّكافل المتبادل بين النِّظام ومكوّناته،... وعلى التّناقضات التي نواجهها عندما نتعامل مع اللّغة"[1].

ذلك أنّه استطاع أن يشكّل رأياً مسموعاً، وعُدَّ مؤسّس اللّسانيّات البنيويّة، وصارت أفكاره في المحاضرات، أسساً نظريّة لدى اللّسانيّين فيما بعدُ."وعلى أيّة حال، ينبغي أن نضيف بأنّ التّحليل الوقائعي للأنظمة اللّسانيّة كانت مهمّةً قد بُلغت إلى باحثي المستقبل، وقد كان إعداد أغلب المناهج المناسبة لتحليلٍ كهذا، هو القضيّة الحيويّة للنّظريّة والممارسة اللّسانيّتين لبضعة عقود". فما الذّي قدّمه دي سوسير في دراسة اللّغة؟

قدّم دي سوسير أوّل تصوّر في دراسة اللّغة، حين عدّها نظاماً من الإشارات، تعبّر عن الأفكار، بذلك صارت لها أهميّة لم تكن تتمتّع بها من قبل. وبالمفهوم الجديد للبنية، استطاع أن يوضّح بأنّ لها مادة تختلف عن مادة العلوم الأخرى، نحو الفلسفة والتّاريخ وغيرهما، فهي مادة مستقلّة، وموضوع لعلمٍ مستقلٍّ. وضمن منهجِ دراستها، لجأ إلى اشتقاق بعض الثُّنائيّات؛ أهمها: اللّسان والكلام، التّزامن والتّعاقب، الدّال والمدلول، الاستبدال والتّوزيع...

ومن أهم المبادئ البنيويّة التي قدّمها[2]، وكانت سبباً في صياغة المشروع البنيوي، مايلي:

- اللّغة نظام؛ حيث لا يمكن تحليل الظّواهر اللّغويّة بعزلها عن غيرها، فهي أجزاء في نسق أكبر.

- اللّغة ظاهرة اجتماعيّة؛ وينبغي دراستها وفق هذا المبدأ، دون اللّجوء إلى معايير أخرى خارجة عن مادتها البنيويّة (نفسيّة مثلاً)، أو عن طبيعتها الاجتماعيّة، (التّاريخ مثلاً). ولذلك فلسانيّات سوسير سعت إلى إبعاد المعايير الذّهنيّة، والخارجة عن البنية خلال تحليل الظّاهرة اللّغويّة، من أجل إثبات موضوعيّتها.

- التّمييز بين (اللّسان والكلام)؛ وهو في الواقع تمييزٌ لما هو اجتماعيٌّ في اللّغة وخاضعٌ إلى نظام عام، عمّا هو فرديٌّ ذاتيٌّ، لا تحكمه قواعد مشتركة.

- لا تحمل أيّة علامة معنى مستقلاً بذاتها، ما لم تكن داخل نظام، بل تستمدُّ معناها من النِّظام ككلّ؛ ومن الوحدات والعلامات الأخرى المجاورة لها في السّياق نفسه، شأنها في ذلك شأن قطعة الشطرنج أو قطعة النقود؛ تخضع قيمتها إلى مبدأين:

---

[1] _بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم- بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،ط2،2012،ص14

[2] _ المرجع نفسه، ص15

* ***مبدأ المخالفة؛*** حيث تتحدّد قيمتها بما يمكن أن تُستبدَل به (ماتقتنيه مثلاً).

* ***مبدأ المشابهة؛*** حيث تتحدّد ضمن ما يشبهها من قطع أخرى، بمقارنتها فيما بينها.

– الدّراسة التّعاقبيّة (التّاريخيّة) للّغة، ينبغي أن تُسبَق بدراسة تزامنيّة (آنيّة)؛ لأنّ النّظام والنّسق الثّابت يمكن فهمه أكثر من التّغيّر، فضلاً عن أنّ التغيُّر ناشئ من ذلك النِّظام والنّسق، ممّا يفرض على الدّارس معرفة حاله أوّلاً. وهذا المبدأ خلّص اللّغة من النّزعة التّاريخيّة التي هيمنت قبله على دراستها، فصارت قسمين: آنيّة وتاريخيّة.

– يتميّز وجود اللّغة بمحورين؛ الاستبدال: وهو المجموعات اللّغويّة الحاضرة في الذّهن، وهي كيانات منفصلة، تمثّل القدرة على تبادل الظّاهرة اللّغوية.

والمحور التّوزيعي: هو العلاقات التي ربط بين وحدات اللّغة أثناء التّعبير بها.

– موضوع اللّسانيّات هو دراسة اللّغة ذاتها، يقول في آخر محاضراته:" إن الهدف الحقيقي الوحيد لعلم اللّغة هو أنّ اللّغة تُدرَس في حدّ ذاتها ومن أجل ذاتها".

– الكلمة وحدة أساسية للتحليل اللّساني، لا الجملة.

ولقد أرجع بعضهم مبدأ الثُّنائيّة هذا الذي يحكم محاضراته إلى مصدر آخر غير علم الاجتماع أو علم النّفس أو علم الاقتصاد (وهي المصادر التي أسهمت في تشكيل فكره اللّغوي) هو عقيدته الدّينيّة القائلة بثنائيّة الجسد والرّوح، ومنها استمدّ مبدأ الثنائيّة الذي يعتنقه.

وقد يكون متأثّراً بالنّظريّة الكلاسيكيّة القائلة بأنّ لكلّ شيء في الكون وجهين؛ كلاهما يكمِّل الآخر، وقد ظهر مثل ذلك في نظريّة أرسطو وديكار.

ويُذكر أخيراً أنّ الفكر البنيوي أسهم في تكوينه–إلى جانب ديسوسير– لا سيما في مناحيه التّطبيقيّة، الشكلانيون الروس الذين كانت اهتماماتهم متّجهة نحو دراسة بنية النّص الأدبي، وبخاصّة الحكايات الشعبية. وكان تحليلهم للشكل قريباً من مفهوم البنية. إضافة إلى تطبيقات المنهج ذاته على الأساطير، لدى (ليفي شتراوس)[1].

[1]_ بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، مصدر سابق، ص17

إجتهد الباحثون في ميدان اللّسانيّات الحديث على الاستفادة من الدراسات اللّغويّة عبر العصور، وإنّ كانوا إختلفوا في المنهج وفي النتائج التي توصلوا إليها إلا أن الثابت أنهم لم ينطلقوا من فضاء، وإنما أسسوا أبحاثهم على مابناه من كان قبلهم من العلماء، ومن هنا يمكننا القول إن أية نظرية ما هي في الحقيقة إلا واحدة من أفكار فرد معين يقوم بتطويرها على مر السنين، وفي الوقت نفسه يقوم بتدريسها لطلابه، وهؤلاء الطلاب يقومون بتطوير وجهات نظرهم الخاصة حول النظرية الأصلية، وخلال هذا الفصل سنحاول التعرض إلى أهم المدارس اللّسانيّة المعاصرة وإسهاماتها في الدرس اللّساني الحديث، بواسطة نظريات ومفاهيم التي أتت بها كل مدرسة.

المدرسة اللّسانيّة أو اللّغوية هي مجموعة من المفاهيم تتبناها طائفة من اللّغويّين، بحيث تجمعهم وجهة نظر واحدة للّغة، ومنهج واحد في معالجة الظواهر اللّغويّة، مهما اختلفت أوطانهم وجنسياتهم.

فالمدرسة نظرية أو إطار فكري عام معين يُتخذ لمعالجة البحث اللّغوي. فلا تعد المدرسة مدرسة إلا إذا حددت رؤى وأهدافا ثابتة، واتخذت لنفسها أصولا وأسسا مخصوصة، ورسمت منهجا واضحا تسير عليه في معالجة المسائل والقضايا.

المبحث الثاني: مدرسة جنيف:

1-التعريف بهذه المدرسة:

تعتبر هذه المدرسة المركز الذي إنطلقت منه المدارس اللّسانيّة المعاصرة حيث ظهرت مع فرديناند دي سوسير الذي تعد أفكاره نقطة تحول عميقة في مسار اللّسانيّات الحديثة، التي أقام أركانها على كشف الجوانب الفيلولوجية، مما اعتبره العالم مركز إنطلاق لكثير من الإتجاهات اللّسانية المعاصرة، من خلال رؤيته الجديدة للّغة، وقد مثل كتابه الشهير المصدر الأساسي لكثير من الباحثين في ميدان اللّغات الأوروبية[1].

كما يرى روبنز أنّ آراء دي سوسير في "***المحاضرات***" كانت أشبه بالثورة وقد أوضح جانباً من هذه الثورة السوسيريةقائلاً:"يجب أن توصف اللّغة تزامنياً بوصفها نظاماً من العناصر المترابطة، والمصطلحات اللّغويّة التي يجب أن تعرف بالنسبة لبعضها البعض، وليس بشكل مطلق، وهذه هي النظرية التي عبر عنها بقوله إن اللغة عبارة عن صيغة وليست مادة، وأوضحها بالاستعارتين

[1] _ عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 1422هـ-2002م، ص225

المعروفتين: قطع الشطرنج، والقطارات التي تحدد، وتعرف بمكانها في نظام اللعبة وليس بتكوينها المادي الفعلي"[1].

ونستنتج من خلال هذا أن أعمال دي سوسير كانت بمثابة ثورة على المناهج السابقة مثل: الدراسة التاريخية، والدراسة المقارنة، إذا استطاع أن يصنع منهجاً جديداً كان له صدى وتأثير في الدراسات اللّسانيّة التي جاءت بعده من خلال تقديمه رؤية جديدة لدراسة اللغة، وقد وضح أن المصطلحات اللّغويّة يجب أن تربطها علاقة قوية، بحيث تعرف بالنسبة لبعضها البعض، ومن هنا أصبحت كل دراسة لسانيّة إلا ويذكر اسمه فيها، وبهذا بقي دي سوسير زعيماً لمدرسة جنيف.

ولقد حصلت الدراسة اللّغوية على الشرعية العلمية في القرن العشرين بفضل دي سوسير الذي ظهر مجدداً في منهج البحث الذي يعالج اللّغة ويحللها فقد كرس سوسير حياته القصيرة لمجموعة من المبادئ أسست مدرسة لسانيّة قائمة بذاتها شق بها خطوة علميّة في اللّغة لها مفاهيمها ومصطلحاتها ومناهجها الخاصة، وباتت نموذجاً رائداً في العلوم الإنسانية، وكان لها الأثر البين في العلماء الذين عاشوا في عصره وفي المدارس اللّسانيّة التي تأسست بعده.

ويتضح من خلال هذا أن التحول العلمي الذي أحدثه دي سوسير كان له الأثر البين في كثير من المدارس اللّسانيّة المعاصرة التي ظهرت بعده، وتبنت هذه الأخيرة الكثير من المبادئ والأفكار أتى بها هذا الباحث في مجال اللّسانيّات، وأصبحت نقطة انطلاق لكثير من الدراسات اللّغويّة والمصدر الأساسي للعديد منها.

2- مبـــــادئهـــــا:

قامت مدرسة جنيف على مجموعة من المبادئ المتمثلة في ثنائيات دي سوسير، حيث احتلّت هذه الأخيرة مكانة هامّة في اللّسانيّات الحديثة، وتمثل مبدءاً أساسياً أرسى عليها هذا الباحث نظريته اللّسانيّة، حيث كان يحلل الأشياء من خلال الإستناد عليها، وهي كالآتي:

أ) اللّغة والكلام:

فرق دي سوسير بدقة بين الثنائي الذي كان مترادفاً عند علماء اللّغة التّقليديّين وهو اللّغة والكلام، ثم أضاف اللّسان معتبراً أن "اللّغة هي الملكة اللّسانيّة المتمثلة في القدرات التي يمتلكها الإنسان، وهي تميزه عن الكائنات الأخرى"[1].

[1]_المرجع السابق، ص226

يمكننا القول من خلال هذا الرأي، إن اللّغة هي قدرة بشرية موجودة عند جميع الناس تمكنهم من التواصل فيما بينهم، وتميّز الإنسان باعتباره كائن عاقل يملك هذه القدرة عن غيره من الكائنات الأخرى" كما درس دي سوسير اللّغة لا على أنّها مجموعة من الكلمات، وإنما على أساس أنها كل قد تركب من مجموعة من العناصر تربطها علاقة، تجعل العناصر لا معنى لها في ذاتها، وإنما معناها في إرتباطها ببعضها، وكل تغيير يصيب عنصر منها يظهر أثره على سائر العناصر بل على النظام كله"[2].

فاللّغة إذن بنية ونظام حسب دي سوسير وإن كان لم يستعمل كلمة البنية في تعريفه بل استخدام كلمة نسق والعناصر داخله تربطهما علاقة قوية، بحيث أن قيمة العنصر الواحد لا تظهر إلا باقترانه مع الكل، فكل عنصر يؤثر في الآخر ويكمله.

أما الكلام فإنّه فعل كلامي ملموس، ونشاطه شخصيّ مراقب، يمكن ملاحظته من خلال كلام الأفراد أو كتاباتهم، وهو مطابق لمفهوم "الأداء" الذي وضعه تشومسكي. وقد عرّفه دي سوسير بقوله:" إنه مجموع ما يقوله الأفراد ويشمل:

(أ) أنساقاً فردية خاضعة لإرادة المتكلمين، و(ب) أفعالاً فونولوجية إرادية أيضاً وضرورية لتنفييذ هذه الأنساق. إنّه ليس وسيلة جمعية. وتكون مظاهره فرديّة ووجيزة للغاية، ولا توجد فيه إلا مجموع الأفعال الخاصة[3].

ومن الناحية العلمية، يمكننا أن نصل إلى "لغة" جماعة ما عندما نأخذ بعين الإعتبار عدداً كبيراً من مظاهر كلام الأفراد. وعليه فإن الكلام لا يكتسي أهمية كبيرة بالنسبة للسانيّ لأن موضوع اللّسانيّات هو"اللّغة" في مجموعها الكليّ، ولكن دراسة "الكلام" تفيد كثيراً في بعض الحالات كالحُبسة. وتحليل الأسلوب، والأمراض العقلية والنفسية، وبما أن اللّغة في نظر دي سوسير نظام من العلامات بدلاً من نظام من الجمل، فهذا يدل على أن التركيب قضيّة خاصّة بالكلام وليس باللّغة. وقد انتقد سامبسون هذا الموقف بقوله: إنّ النحو مسألة اصطلاح وتواضع، وما على الأفراد إلاّ اتقان التراكيب النحويّة للتمكن من صياغة أنواع الجمل المختلفة. ثم أردف قائلاً: مادام دي سوسير يرى أن اللّغة نظام من العلامات، فإن وصف اللهجات الفرديّة يُعدُّ –بالنسبة إليه– شيئاً معقولاً ولكن لا يوجد في الواقع فرد متضلع يتقن مجموع العلاقات الدلالية التي تحدد معاني المفردات التي يستعملها. وقد أدّت هذه

---

[1] _ لوشن نور الهدى، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الازارطية الاسكندرية، 2000، ص329

[2] _ المصدر السابق، ص307– 308

[3] _ مومن أحمد،اللسانيات النشأة والتطور، مصدر سابق، ص 124

النظرة السوسيرية بالمدارس اللّسانيّة الأوروبية إلى تجاهل أو عدم التركيز ليس على التركيب فحسب بل على العلاقات الأفقية الترابطية أيضاً.

وهكذا فإن التمييز بين "اللّغة"و "الكلام" له أهمية كبيرة في اللّسانيّات وفي الفرع المعرفية الأخرى.

وعلى كلّ علم من هذه العلوم أن يتناول بالبحث والدراسة الوجهة التي تتماشى والمبادئ العامة التي بُنِيَ عليها.

وبعد تمييز دي سوسير بين اللّغة والكلام، ذهب إلى الحديث عن اللّسان حيث عرفه بقوله:" هو عبارة عن نسق من القواعد النحوية الموجودة بالقوة في كل دماغ، أو بالضبط في أدمغة مجموعة من الأفراد، لأن اللّسان يوجد عند كل فرد ناقصاً، ولا يوجد كاملاً إلا عند الجمهور[1]" ومعنى ذلك أن اللّسان نظام نحوي يملكه مجموعة من الأفراد ينتمون إلى مجتمع لغوي له خصوصياته الثقافية والحضارية كأن نقول مثلاً: اللّسان العربيّ – اللّسان الفرنسيّ – اللّسان الإنجليزيّ...إلخ.

كما يعبر اللّسان بأنه رصيد يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد بفضل مباشرتهم للكلام، وهو نظام نحوي يوجد وجوداً تقديرياً في كل دماغ، وقد حدد دي سوسير اللّسان في هذه الصيغة :اللّسان= اللّغة– الكلام[2].

ونستنتج من خلال هذه الثنائية أنه بالرغم من الفروق الموجودة بينهما إلا أنهما متصلان إتصالاً شديداً يقتضي أحدهما الآخر، وتمييزنا بينهم إنما هو تمييز ما هو اجتماعي عما هو فردي وما هو جوهريّ عما هو تابع أو عرضيّ.

ب) ***ثنائية الدال والمدلول:***

تعتبر هذه الثنائية من المبادئ المركزية في فكر سوسير لمفهوم اللّسانيّات باعتبار أن الدليل اللّسانيّ هو ذي يوضح مفهوم اللّسان وطبيعته توضيحاً نهائياً، إذ هو وحدة نفسية ذات وجهين وهذان العنصران مرتبطان ارتباطاً وثيقاً ويتطلب أحدهما الآخر. فهوبهذا يوحد بين التصور والصورة السمعية أي: بين الدال والمدلول، لا بين شيء واسم، والصورة السمعية ليست هي الصوت الماديّ الفيزيائيّ، وإنما هي البصمة النفسيّة لهذا الصوت، والتمثيل الذي تمدنا به حواسنا، ويبقى التصور شيئاً مجرداً على العموم.

[1]_ فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، دط، 2008، ص28

[2]_ العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص8

وتقترن هذه الثنائية بمفهوم العلامة، فالمعروف أن النظام اللّسانيّ يتكون من وحدات لسانيّة مرتبة فيما بينها تسمى بالعلامة، وفي هذا الصدد يقول دي سوسير:" العلامة اللّغوية هي الوحدة اللّسانيّة المكونة من عنصرين بينهما كمال الإتصال فهما كوجهي الورقة، يسمى أحدهما دالاً وهو الصورة السمعية التي يتضمنها الدليل أو العلامة ويسمى الثاني مدلول وهو المتصور، فالعلامة اللّغويّة ليست الدال وحده أو المدلول وحده، وإنما هما معاً أو لا تكون[1]". ومعنى ذلك أن العلامة اللّغويّة تتكون من عنصريين هامين هما الصورة السمعيّة التي تمثل الدال، والصورة الذهنية وهي المدلول ولا يمكن تصور العلامة من دونهما، وهذه الأخيرة لا تربط شيئاً باسمه، وإنما التصور والصورة السمعية، فكل عنصر يكمل الآخر، ولا يمكن الفصل بينهما.

وهذان العنصران شديدا الارتباط، ويستلزم أحدهما الآخر، ويقترح سوسير الاحتفاظ بكلمة دليل لتعيين المجموع وتعويض التصور، والصورة السمعية على التوالي بمدلول ودال.

العلاقة بين الدال والمدلول، لا تقوم على المشابهة والمناسبة، وإلا لما تعددت الألسنة، بل تقوم هذه العلاقة على الاعتباطية إذ توحي الدوال بمدلولاتها بشكل تلقائي، فالدليل اللّغويّ خاصيتان أساسيتان هما:

- الخاصية الاعتباطية للدليل.
- الخاصية الخطية للدال.

ليس للفكرة أية علاقة داخلية مع المتوالية الصوتية، إذ يمكن التمثيل للفكرة بأية متوالية صوتية أخرى، وخير دليل على ذلك الاختلاف الحاصل بين الألسنة ووجود الألسنة المتعددة.

فالعلاقة الرابطة بين الدال والمدلول، علاقة اعتباطية حسب رأي سوسير حيث يقول:" تظهر الاعتباطية في أن دالاً معيناً يطابق مدلولاً معيناً في الواقع، ومن ثم فالعلامة اللّسانيّة هي تقسيم للواقع عن طريق التواضع لا غير فهي بمعنى الإتفاقوالإصطلاح، عكس المفهوم العفوي لدى المتكلم الذي يرى العلامة اللّسانيّة كأنها إسم للواقع[2]" ويقصد دي سوسير بالاعتباطية بين الدال والمدلول عدم التلازم أو الإرتباط الطبيعي بين العلامة وما تدل عليه، وقد قدم مثالاً على ذلك لتوضيح هذه

[1]_ لوشن نور الهدى، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مدر سابق، ص308-309

[2]_ فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان، ص321

العلاقة حيث قال: الأخت أصواتها هي (أ- خ- ت) وهي الدال، غير مرتبطة بالمدلول الذي هو بمعناه: (الإنسان- الأنثى- التي لها أب وأم).

ومادام الدليل هو المجموع الناتج عن ترابط الدال والمدلول فإنّه يمكن القول أن الدليل اللّسانيّ اعتباطي، الذي يعني أنه غير معلل، يقول أحمد حساني:" إن الإعتباطية في العلامة اللّسانية في نظر دي سوسير ' تعني أنها عائدة إلى اختيار حر يقوم به متكلم اللّغة، وإنّما نعني بالاعتباطية أنّ الدال غير معلّل بالنسبة للمدلول الذي لا تربطه به أية علاقة في الواقع[1]" ومعنى ذلك أن العلامة اللّسانية هي مطابقة للواقع عن طريق التواضع والاصطلاح لا غير، فهي تربطها علاقة غير ضرورية مع ما تدل عليه.

وبالنظر إلى الجماعة اللّسانيّة التي تستعمله يبدو أنه ليس حراً بل مفروضاً ذلك أنّ الكتلة الاجتماعيّة لا تستشار في شأنه فالدال الذي يختاره اللّسان لا يمكن استبداله بدال آخر فلا الفرد وحده بقادر على تغيير هذا الاختيار ولا الجماعة بقادرة على ممارسة سيادتها على كلمة واحدة إذ الجماعة مشدودة إلى اللّسان كما هو.

وعلى هذا الأساس لا يصح اعتبار اللّسان تعاقداً فحسب لأن اللّسان كالقانون الذي تتقبله الجماعة أنه نتاج موروث عن أجيال سابقة أو نتاج عوامل تاريخية تفسر عدم قبولية الدليل اللّسانيّ للتغيير ولكي ندرك أن اللّسان ليس حراً لا يكفي القول أن اللّسان نتاج القوى الاجتماعية لأنها ترثه عن حقبة سابقة وممارستها تتأطر في الزمن وهذان العاملان متلازمان بل بفضل الاصلاح الاعتباطي يكون الاختيار حراً وبسبب الزمن يصبح الاختيار ثابتاً.

بالنسبة للخاصية الخطية للدال فسوسير يعتبر اللّغة نظاماً من علامات أو وحدات لغويّة تتعرف كل واحدة منها بالوحدات التي تشترك معها في السياق ومن ثم فإنّ أي وصف دقيق للّغة ينبغي أن يعقد على بيان العلاقاتبين الوحدات اللّغويّة.

فعناصر الجملة أو وحداتها تنتظم معاً في سياق أفقي متدرج زمنياً يجيء كل عنصر أو وحدة منها في عقب الآخر.

[1] _ حساني أحمد، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية،دط، 1999،ص42

وهذه العلاقات لا تنعقد فحسب بين الكلمات بل تنعقد كذلك بين وحدات اللّغة الأخرى (الفونيمات والمقاطع والعبارات بل الجمل) ومن ثم فالعلاقة خطية، تتبين هذه الصفة في الدال حيث يمكن تقسيمه إلى أجزاء يأتي كل جزء منها في عقب جزء آخر في تتابع زمنيّ منظم[1].

ج) الآنية والتعاقبية:

كانت اللّسانيّات السائدة في القرن التاسع عشر هي اللّسانيّات التاريخيّة، ولم يكن هناك تمييز واضح بين الدراسة الآنية و الدراسة الزمانية كما ذهب إلى ذلك دي سوسير في محاضراته[2]. وكانت اللّغة وما تزال موضوع إهتمام الباحثين والدارسين، وما دامت هي ظاهرة إجتماعية فإنّها تخضع للتطور والتغير، ولا تبقى على حالها في كثير من جوانبها، وكانت الطريقة الوحيدة عند دي سوسير تحليل بنية اللغة بنوعين من المقاربة.

1- المقاربة الآنية أو التزامنية:

هذه المقاربة تدرس أية لغة من اللغات على حدى دراسة وصفية في حالة معيّنة أيفي نقطة زمنية معينة، ولا تقتصر في الواقع على دراسة اللغات الحديثة أو المعاصرة، بل يمكنها أيضاً أن تدرس اللغات الميّتة بشرط أن تتوفر كل المعطيات اللّغويّة التي تنبني عليها الدراسة العلمية الوصفية. فالمنهج الآني منهج استقرائي ساكن.

وحسب دي سوسير، فاللّسانيّات الآنية تعنى بالعلاقات النفسية والمنطقية التي تربط مفردات متواجدة معاً وتشكل نظاماً في العقل الجماعي للمتكلمين.

إذن هذه المقاربة هي التي تعالج الموقف اللّسانيّ في لحظة بعينها من الزمان، أي أنّها تعني بوصف الحالة القائمة للغة ما، وتتجلى اللّغة في هذه الحالة في هيئة نظام نسقي يعيش في الوعي اللّغوي لمجتمع بعينه. وهذا يعني أن هذه المقاربة تهتم بالنظام اللّسانيّ في ذاته، ومن أجل ذاته في حالة اللغة بمعزل عن التاريخ، "فالدراسة الآنية هي دراسة اللغة في فترة زمنية محددة بقطع النظر عن حالتها قبل هذه الفترة وبعدها، فهي إذن وصف اللّغة في نقطة معينة[3]."

---

[1] _ المرابط عبد الكريم، مدخل إلى اللسانيات، جامعة عبد الملك السعدي، الكويت، ط2، 1978، ص17

[2] _مومن أحمد،اللسانيات النشأة والتطور،ص125

[3] _ لوشن نور الهدى، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص310

ستنتج من خلال هذا الرأي أن الدّراسة التزامنية تهتم بوصف اللّغة، ومن هنا أطلق عليها اللّسانيّون اسم المنهج الوصفي أو المنهج البنيوي الذي يهدف إلى تحديد المبادئ الأساسية للنظام المتزامن.

2-المقاربة التعاقبية:

إضافة إلى الآنية هناك مقاربة أخرى هي التي تعنى بتاريخ اللّغة؛ أي أنّها تتناول بالدراسة التغيّرات والتطورات المختلفة التي طرأت على لغة ما عبر فترة من الزمن أو خلال حقب متتابعة في الزمن الماضي. فهذه المقاربة تعنى بالظواهر اللّغويّة غير المختزنة في الوعي اللّسانيّ للمتكلمين، وهي التي تحتل بعضها مكان بعض دون أن تتجاوز بالضرورة في نظام واحد.

فالمنهج الزماني منهج حركي تطوري، يهتم بتعاقب الأزمنة لأجل الكشف عن التطورات التي تلحق اللّغة عبر التاريخ. حيث يقول دي سوسير:" الدراسة التعاقبية هي دراسة اللّغة عبر تطورها التاريخيّ وفي صيرورتها التاريخيّة.[1]" فهذه الدراسة ونظراً لإهتمامها بالتطور التاريخيّ أصبح يطلق عليها اسم المنهج التاريخي الذي يهدف بدوره إلى البحث عن العناصر المتتابعة زمنياً.

وينبغي فقط عدم الخلط بينهما عند البحث إذ لكل منهما مبادئه الخاصة، ومن المؤكد أنّ دي سوسير لم يرفض البتّة اللّسانيّات الزمانية، ولم يعدّها شيئاً ثانوياً أو غير ضروري، ولكنه ألحّ فقط على الفصل بينهما، كي لا تدحض النظرة التطورية الوصف الآني، وكي تثبت كلّ واقعة في مجالها الخاص.

ولتوضيح الفرق بينهما بشكل أفضل، استعان دي سوسير بمثال دراسة نبات ما. فالدّراسة الآنية مثلها مثل الشريحة المقطوعة قطعاً عرضياً. والدراسة الزمانية يمثلها المقطع الطولاني الذي يُظهر لنا الألياف نفسها التي تشكل النبات. ولكن قد تتفرع هذه الألياف مرّة وتختفي مرّة أخرى. أما الدراسة العرضية فتبيّن العلاقات القائمة بين الألياف وترتيبها الخاص على مستوى معيّن. وفي الواقع، إنّ الشريحة العرضية هي التي تمكننا من المعرفة الدقيقة للبنية النباتية في مرحلة خاصة من النمو، وذلك بمقارنة مختلف الأجزاء وعلاقة بعضها ببعض، وهكذا يجب أن تكون الدراسة الآنية حيث يكون التركيز على تناسق الأجزاء وترابطها.

ومن جهة أخرى فقد وضّح دي سوسير العلاقة بين اللّسانيّات الآنية والزمانية باستعمال لعبة لشطرنج كمثال حيّ، حيث إن ما يهمّنا في هذه اللعبة ليس نشأتها أو تاريخها كانتقالها من إيران إلى دول أخرى، وليس كل التحركات السابقة للبيادق منذ بداية اللعبة لأنّها لا تغيّر شيئاً من الأمر

[1] _ المرجع السابق، ص311

الواقع، بل ما يهمّنافعلاً هو تموضع البيادق في اللحظة الحالية وعلاقتها ببعضها البعض حيث ترتبط قيمة البيدق بموقعه على الرقعة. وكذلك الحال بالنسبة للغة، إذ تستمد كلّ مفردة قيمتها من خلال مقابلتها مع باقي المفردات الأخرى[1].

د) العلاقات التركيبية والترابطية:

تفسر النظريات البنيّويّة الحديثة التراكيب اللغوية بمجملها بناء على العلاقات القائمة بين الإشارات التي تتكون منها هذه التراكيب، وذلك على محورين أساسيين هما المحور الإستبدالي والمحور النظمي، ـه الثنائية أول من نادى بها هو دي سوسير.

1-العلاقات التركيبية:

يعرف دي سوسير هذه العلاقة بقوله:" هي علاقات توجد بين وحدات تنتمي إلى مستوى واحد، وتكون متقاربة ضمن منطوقة معينة أو عبارة معينة او مفردة معينة، ويمكن لهذه الوحدات أن تدعى كذلك بالمتفارقة"[2]. ويتمثل هذا النوع في العلاقات الأفقية بين الوحدات اللّغويّة ضمن السلسلة الكلامية الواحدة، كالعلاقة بين أصوات الكلمة الواحدة وكلمات الجملة الواحدة. وتُضفي كلّ وحدة معنى إضافياً على الكلّ. وتكون في حالة تقابليّة مع بقية الوحدات اللّغويّة الأخرى. ولا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع الوحدات التي تسبقها أو تليها أو معهما جميعاً. وتُسمى هذه الأنساق الخطيّة تراكيب، ففي هذه الجملة: صار الطقس بارداً؛ هناك علاقة تركيبية من ثلاث وحدات وهي: صار+ الطقس+ بارداً.أما على مستوى المفردات، فتتمثل هذه العلاقة في إدماج بعض الصوامت في أنساق تركيبية حسب القوانين الفونولوجية المتعارف عليها في تكوين مفردات اللّغة كهذه المجموعة من الصوامت: ل + س + ا + ن + ي + ا + ت التي تعني مجتمعة: "لسانيات" وفي الخطاب كما يقول ي سوسير :" تكتسب الكلمات علاقات مبنية على صفة اللّغة الخطيّة بسبب ترابطهما فيما بينهما ممَّا يستثني إمكانية لفظ عنصرين في آن واحد."[3]

[1] _ مومن أحمد،اللسانيات النشأة والتطور،ص 126

[2] _ الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان ياكبسون- دراسة نصوص-، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ-1993م، ص36

[3] _ مومن أحمد،اللسانيات النشأة والتطور،مرجع سابق، ص131

2- العلاقات الترابطية:

يطلق هذا المصطلح على العلاقات الاستبدالية بين الوحدات اللّغويّة التي يمكن أن تحلَّ محلّ بعضها بعض في سياق واحد. وبعبارة أخرى فإنها تعكس علاقات موجودة بين علامة في جملة ما وعلامة أخرى غير موجودة في الجملة أصلاً بل موجودة في أذهاننا طبعاً. وقد أطلق دي سوسير لأوّل مرة في تاريخ اللّسانيّات عبارة الترابطية على هذه العلاقة.ومثال على ذلك:" أصبح الجو صحواً "، يمكن أن تُعوَّض كلمة "أصبح" ب: صار، وكان، وأضحى... وكلمة "الجو" ب: المناخ... وكلمة " صحواً " ب: رطباً... وهكذا دواليك.

أما على مستوى المفردات[1]، فيكون تحديد كل فونيم بمقابلته بالفونيمات الأخرى التي يمكن أن تحلّ محله في سياقات مختلفة لتكوين الكلمات؛ وذلك كاستبدال الحرف الاستهلالي ببعض الحروف، والإبقاء على الحرف الثاني والثالث كما في هذه المفردات: نام، قام، رام، هام، دام، أو استبدال الحرف الثاني من الكلمة بحرف آخر مع الإبقاء على الحرف الاستهلالي والختامي كما في هذه الكلمات: عجن، عفن، عان...إلخ.

وخلاصة القول يمكننا أن نذكر أن مدرسة جنيف هي نقطة إنطلاق للمدارس اللّسانيّة المعاصرة التي ظهرت بعدها، فظهرت هذه المدرسة بزعامة فرديناند دي سوسير الذي يعتبر المؤسس الفعلي للّسانيّات الغربية حسب رأي معظم الباحثين اللّسانيّين، فقد حضي بشهرة كبيرة بين علماء اللّسان الحديث، من خلال أفكاره التي جمعت في محاضرات نشرها تلاميذته من بعده فكانت بمثابة ثورة ألسنيّة على المناهج القديمة، وتمثلت مبادئ هذه المدرسة في ثنائيات ديسوسير فهو يرى أن أي بحث لا يخلو من هذه الثنائيات، وهي أساس أي دراسة لسانيّة، فبفضل هذا الباحث أصبحت دراسة اللّغة تتم وفق منهج علميّ وصفيّ آنيّ يتميّز بالدّقة والشمول، كما عرفت مدرسة جنيف نشاط دارسين آخرين أمثال ريتشارد لوكسنجر.

الذي إهتم بالدراسات الفونولوجية، بالإضافة إلى "فنك" و"دافيد" و"هارولد" وغيرهم من الذين تأثروا بالفكر الديسوسيري.

[1]_مومن أحمد،اللسانيات النشأة والتطور، ص131-132

المبحث الثالث: مدرسة براغ الوظيفية:

1- النشأة التاريخية:

التفّ حول "فيلام ماتيسيوس" (1882-1945) مجموعة من الباحثين المتفقين فكريا، وبدءوا يعقدون اجتماعات لغويّة للبحث المنظم منذ سنة 1926، وبعدها عرفوا بجماعة "براغ" إلى أن تفرقوا عند قيام الحرب العالمية الثانية[1]. لقد قامت هذه المدرسة على المبادئ والأصول النظرية التي أرسى دعائمها "سوسير"، كما اتخذت من تصور "بودوان دي كورتناي" للفونيم نظرية كاملة للتحليل الفونولوجي، وهو العمل الذي اضطلع به عالمان من أكبر علماء هذه المدرسة هما: "نيكولاي تروبتسكوي"، و"رومان جاكبسون"، وكفل النجاح لهذا المشروع ما تمتعت به "براغ" من تقاليد راسخة في الفكر اللّسانيّ، ولم يستغرق تطور النشاط الخصب الذي قامت به المدرسة إلا قرابة عشر سنوات، غير أن أفكارها واصلت ازدهارها في "هارفرد" بالولايات المتحدة التي صارت وطنا لجاكبسون، وكان لمدرسة "براغ" الصدى الكبير في الأوساط اللّسانيّة العالمية، ولدى عدد كبير من منظري ومثقفي العصر، من بينهم مؤسس اللّسانيّات الرسمية الفرنسية "أندريه مارتيه".

2-التطور:

قامت طائفة من علماء اللغة في تشيكوسلوفاكيا بتكوين حلقة دراسية، ضمت عدداً كبيراً من الباحثين من أقطار مختلفة منها: روسيا، وهولندا، وألمانيا وإنجلترا، وفرنسا، وصاغوا جملة من المبادئ الهامة، وتقدموا بها إلى المؤتمر الدولي الأول لعلماء اللغة، الذي عقد في "لاهاي" سنة 1928، تحت عنوان:"النصوص الأساسية لحلقة براغ اللغوية"، وفي العام التالي قدموا الجزء الأول من الدراسة الجمالية بعنوان "الأعمال"، وفي عام 1930 ظهرت أول دراسة منهجية في تاريخ الأصوات اللّغويّة أعدها "جاكبسون"، وعقد في "براغ" مؤتمر الصوتيات، ثم تأكدت الحركة الصوتية على المستوى الدولي بمجموعة من المؤتمرات اللاحقة، وتبلورت في ثمانية أجزاء عن أعمال "حلقة براغ" تباعا حتى عام 1938[2]، وهي السنة التي حلّت فيها الحلقة لأسباب مجهولة وقد صقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا على يد أندريه مارتينيه وإيميل بنفسيت، وطور اتجاه الحلقة حديثا إلى نظرية معقدة بواسطة

[1] _ جيفري سامسون،المدارس اللغوية- التطور والصراع- ترجمة: أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان،ط1، 1993،ص 106

[2] _ فضل صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1980،ص118

الأمريكي و"ليان لابوف" الذي اتفق مع لغوييها في النظر إلى البعد الاجتماعي بصورة جدية، وتم التوصل إلى تحطيم الفصل الصارم الذي أقامه سوسير" بين التاريخية والوصفية.

3-مبـــــــادئها:

عنيت مدرسة "براغ" بالاتجاه الوظيفي الذي يهتم بكيفية استخدام اللّغة بوصفها وسيلة اتصال يستخدمها الأفراد للتواصل ولأهداف وغايات معينة، كما ركزت على مجالات بحثية معينة منها: الصوتيات الوظيفية الآنية والصوتيات التاريخيّة والأسلوبية اللّسانيّة الوظيفية وعلم أمراض الكلام، ولعلنا نقف برهة مع أهم مبادئها فيما يلي[1]:

أولاً: المبادئ الجمالية:

لعل الفيلسوف "جان موكاروفسكي" كان أهم من وضع المبادئ الجمالية للمدرسة، والتي تتلخص فيما يلي:

أ) الفن وطبيعته السيميولوجية: يقوم هذا المبدأ على أنّ فهم علم الجمال البنيوي يكون في إطار مذهب علم السيميولوجيا، ولم يبقى الأمر قاصر على الأدب، بل تعدى ذلك إلى دخول تحليلات إجتماعية ونفسية، وأصبح شاملاً لما يسمى بشخصية الفنان والبنية الداخلية للعمل الفني معاً، دون إهمال علاقة الفن بالمجتمع وقد نادى "موكاروفسكي" بضرورة دراسة مشكلات الرمز والعلامة ودلالتهما، ومنه فعلى علم الجمال أن يتناول الأعمال الفنية كمركز وبنية وقيمة في الوقت نفسه.

ب) دور الفاعل في الفكر الوظيفي: يرى "موكاروفسكي" أن الفاعل الذي يظهر في جميع الأعمال الأدبية والفنية لا يتجسد في شخص واقعي، ولا في شخصية المؤلف، وعليه فالبنيويّة الجمالية تخلصت من وهم الفاعل المستقل، الذي يمارس سلطة مطلقة على جميع الأحداث، وقصرته على نطاق الوظائف التي يقوم بها، كما توضحها بنية العمل الفني نفسه.

ج) خواص الوظيفة الجمالية وعلاقتها بالوظائف الأخرى: إذ يرفض فلاسفة "براغ" تبعية الفن للتطور الاجتماعي، رغم اعترافهم بالقوى الخارجية التي تمارس تأثيرا على الأبنية الفنية، لأن هذا التأثير خاضع لعوامل جمالية منبثقة من الفن في حد ذاته، وهي التي لا تسمح بقيام علاقة سببية بين الفن والمجتمع، فالنظام الاجتماعي لا يولد بالضرورة شكلا معينا من الابداع الفني، وعليه يجب أن يوضع في الاعتبار قطاعين من الواقع أولهما: واقع الرمز أو العلامة، وثانيهما: الواقع الذي يشير إليه

[1] _ بوقرة نعمان، اللسانيات- اتجاهاتها وقضاياها الراهنة- عالم الكتب الحديث،ط1، 2002م، ص83

هذا الرمز واتحادهما هو الذي يمثل الفن، لذا حرصوا على استقلالية الرمز وقدرته التواصلية في حدود السياق الاجتماعي ومقتضياته السياسية والاقتصادية والفلسفية لبنية اجتماعية معينة، ومع أن الحلقة نهرت في ميدان اللّسانيّات بدراساتها الصوتية الدقيقة، إلا أنها اهتمت بلغة الشعر والأدب بصفة عامة، وامتدت إلى مجالات اجتماعية، وفلسفية، ونفسية، ومن أهم مكاسبها:

أ- دعوتها إلى تطوير فكرة تعدد الوظائف للوحدات البنيوية.

ب- اعتمادها على بعض العناصر الرياضية في تحليلاتها، ولم تعد تقتصر على ما يلاحظ في الواقع مباشرة، بل ركزت على العلاقات التجريدية النظرية وما يمكن أن تسفر عنه من علاقات فرضية.

ثانياً: المبادئ اللّسانيّة: من أهم المبادئ اللّسانيّة مايلي:

1- تتصوّر المدرسة عملية التّطور اللّغويّ على أنها كسر لتوازن النظام القائم، وإعادته مرة أخرى، فجاكبسون يرى أن استغلال الفوارق الصوتية يؤدي للوصول إلى القدرة التعبيرية للقول الانفعالي، وأن للطاقة التعبيرية للأصوات دوراً مهماً في إدخال تعديلات مهمة على الكلمات والأنظمة السياقية والموسيقية.

2- تتصور المدرسة أن البنيّويّة اللّسانيّة كلّ شامل، تنتظمه مستويات محددة.

3- ترى أن العناصر اللّسانيّة والعلاقات القائمة بينها متعايشة ومترابطة، ولا يمكن فصلها.

4- ترى أن اللّسانيّات البنيّويّة تتصور الواقع على أنه نظام سيميولوجي رمزي وتميز بين اجرائين مختلفين:

* أولهما: التقاط العناصر الواقعية المحددة والذهنية المجردة وإمكانية التعبير عنها من طرف المتحدث بكلمات من اللّغة التي يستخدمها.

* ثانيهما: وضع العلاقة المختارة التي تشكل كلاعضويا (الجملة) ويمكن أن تقوم الكلمة مكان الجملة للتعبير عن الهدف نفسه.

5- دعت المدرسة إلى ضرورة بحث المعالم البنيّويّة لدلالة الكلمات المعجمية، ورأت أن القاموس ليس مجموعة من الكلمات المنعزلة، إنما هو نظام تتناسق في داخله هذه الكلمات وتتعارض فيما بينها[1].

[1] _ فضل صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي،ص113

4- برنامج حلقة براغ / النظرية والمنهج:

منذ ا وضعت المدرسة برنامجا لأعمالها في مجال الدرس اللغوي، وقد اختطت فيه الأسس النظرية والمنهجية. وبمتابعة هذا البرنامج على مدار تاريخها ساهمت المدرسة في تأسيس وتطوير كثيرا من المسائل الهامة في اللسانيات. وحددت منهجها بالانطلاق منتصور اللغة باعتبارها نظاماً وظيفياً يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل. فإذا كان دور اللغة هو توفير أسباب التواصل فإن دراسة اللغة ينبغي أن تراعيذلك.وفيما يلي إجمال للأسس النظرية والمنهجية للمدرسة[1]:

أولا : في مجال الدرس الصوتي :

اعتمد أقطاب المدرسة على تصورات سوسير وأفكاره، من حيث رأى أن اللغة ذات وظيفة اجتماعية، وهي نظام من العلامات أو الوحدات اللغوية. وعلى هذا الأساس رأوا أن الوحدات الصوتية (الفونيمات) تقوم بدور الوحدات اللغوية التي يتم من خلالها إنجاز التواصل. فنص البرنامج على:

على البحث الصوتي أن يعنى بتحديد أنماط التقابلات الصوتية في اللغة المدروسة. وأن لا يفصل الظاهرة الصوتية عن الظاهرة الصرفية.

وبناء عليه، تناولوا الأصوات بما يؤديه الصوت من وظيفة تواصلية في سلسلة الكلام. صب اهتمامهم في هذا المجال على النظام الصوتي المستدل عليه من دراسة الأصوات المنطوقة، أي ركزوا على جانب اللغة لا الكلام، بما أقره دي سوسير مجالا لعلم اللغة. وأسفرت دراسات ياكبسونوتروبتسكوي في هذا المجال عن تطوير نظرية الفونيم، وعلم الأصوات (phonetics) وعلم النظم الصوتية (phonology). ونتج عن دراساتهم في المجال الصوتي نشوء فرع خاص من فروع الدرس اللساني هو علم النظم الصوتية-الصرفية (morpho-phonology).

[1] – إفتشميلكا، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المطبعة الأميرية، مصر، دت، دط، ص237

ومن آراء تروبتسكوي في هذا المجال أنّ الفونيم هو أصغر وحدة فونولوجية في اللّسان المدروس، منتهيا إلى جملة من القواعد تتعلق بهذا المفهوم منها[1]:

1- إذا كان صوتان من اللّسان نفسه والإطار نفسه، ويمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صوتان اختياريان لفونيم واحد مثل: قال وقال فاختلاف القاف والقاف لا يؤدي إلى تغير المعنى.

2- إذا كان الصوتان من اللّسان نفسه والإطار نفسه، ولا يمكن لأحدهما أن يحل محل الآخر، فهما صورتان واقعتان لفونيمين مختلفين مثل: حال، جال، فالحاء والجيم فهما فونيمان مستقلان ليس لهما معنى في ذاتهما، وهما قادران عل تغيير الدلالة.

3- إذا كان الصوتان من اللّسان نفسه متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية، ولا يظهران في الإطار الصوتي نفسه، فهما تركيبان لفونيم واحد، مثل صوت النون في العربية التي تتعدد صورهابتعدد الأصوات الموالية لها. كما يرى "تروبتسكو" أن الفونيم عبارة عن النماذج الصوتية التي لها القدرة على تمييز الكلمات، وأشكالها، والأنماط الصوتية المستقلة، التي تميز الحدث الكلامي عن غيره من الأصوات، ومنه فكل فونيم يؤدي وظيفتين:

أ- وظيفة إيجابية: حينما يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه.

ب- وظيفة سلبية: حينما يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى، ومثال ذلك فونيم النون (ن) يشترك مع غيره من الفونيمات في كلمة نام، لتحديد معناها ومدلولها، وهي الوظيفة الإيجابية، أما السلبية تتمثل في حفظ كلمة نام مختلفة عن كلمات مثل: قام، صام، حام. وتظهر الوظيفة الإيجابية (الأساسية) بشكل جلي –أثناء حذف الفونيممنالكلمة واستبداله بآخر- في تغير المعنى، مثلاً: استبدال فونيم الصاد في كلمة صام بالقاف فتصبح الكلمة قام، فالفونيمات أصوات لها سمات خاصة، قادرة على التمييز بين الكلمات في كل اللغات بإبدالها

[1] _ إفتشميلكا، اتجاهات البحث اللساني،المصدر السابق، ص238

بفونيمات أخرى وبترتيبها وموقعها في بنية الكلمة، وهو مايشبه فكرة القلب والإبدال في الاشتقاق الأكبر في العربية.

ج- الوظيفة التمييزية للفونيم (القيمة الخلافية): برى تروبتسكوي أنّ الوظيفة التمييزية هي الوظيفة الأساسية للوحدات الفونولوجية، ويعرف الفونيم من حيث وظيفته اللّسانيّة على أنه: أصغر وحدة يمكنها أن تظهر تعارض إشارتين مختلفتين، ويفترض هذا الاختلاف وجود تضاد بين الوحدات المميزة إذ أن ليس بإمكان أي فونيم تأدية وظيفة تمييزية إلا إذا كان مضاداً لفونيم آخر، مثل الزوج (تاب/ناب)، فوجود تضاد صوتي بين فونمي التاء والنون، ميز بين دلالة الكلمتين، وعليه ركز على أن الفونيم يأتي من مفهوم التغاير والتضاد في المجال الصوتي، فالوظيفة التمييزية هي أساس التحليل الفونيمي بين الوحدات المفيدة، أما إذا أمكن استبدال صوت بآخر في نفس المدرج الكلامي دون أن يؤثر ذلك في معنى اللفظة فيمكن عد الصوتين مجرد تنويعين (variations) نطقيين لفونيم واحد .

وإثر هذا الجهد الكبير حاز العالم "تروبتسكوي" شرف المؤسس الأول للفونولوجيا وقاده إلمامه الواسع بلغات متنوعة إلى استنباط واستخلاص ملاحظاته المهمة الأولى على النظم الصوتية، ووصف منهجه في تحليل اللّغة بأنه علم جديد، وقد كان هذا التحليل الفونولوجي رائداً في مجال الدراسات البنيّويّة المنهجية من حيث دقته وصرامته ونتائجه حتى راحت تحتذيه باقي الدراسات اللّسانيّة الأخرى ، وفي مقدمتها علم الدلالة البنيوي[1].

أما "أندريه مارتينيه" فجاء بنظرية ***التقطيع المزدوج*** :

هذا التقطيع (Double articulation) يظهر في ميل الإنسان إلى التعبير عن أفكاره ورغباته الذاتية واهتماماته الشخصية التي تمثل تجربة في جوهرها يسعى لإيصالها للغير ويكون ذلك إما بصيحة فرح او صرخة ألم، وإما بحركة دالة وهذا السلوك لا يرقى إلى مستوى الإبلاغ اللغوي، لذلك تفكك التجربة الإنسانية التي تيسرت صياغتها في اللغة إلى سلسلة من الوحدات الدالة، ثم إلى عدد

[1]_ حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،ط1995،1، ص105

من الوحدات الصوتية[1]. ويعد التقطيع المزدوج أساس نظرية "مارتينيه" الذي يرى أن اللّسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية، لكونه مزدوج التقطيع، أي أن الأقوال اللّسانيّة تتكون من مستووين مختلفين هما:

مستوى التقطيع الأول (Moneme):

فيه نحصل على وحدات ذات مضمون معنوي (المدلول) وصوت ملفوظ (دال)، وتسمى هذه الوحدات مونيمات مثال: راجعـ/ت درسـ/ي، نلاحظ أن هذا المثال يحتوي على أربع مونيمات متتابعة، ويسمى معنى كل لفظة مدلولاً، وصيغتها الصوتية دالاً، وهي وحدات دنيا يستحيل تحليلها إلى وحدات دالة أصغر منها.

مستوى التقطيع الثاني (Phoneme):

يمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات دنيا- أيضا- مجردة من كل دلالة ولكنها مميزة تسمى بالفونيمات وهي محصورة في كل لسان[2]، ومثاله: ***كتب عمر درسه، ونزل القرآن بلسان عربي***، إذ يمكن أن تقطع (كتب) إلى ست وحدات مميزة أي ستة فونيمات: ك/=/ت/=/ب/=/ت/ وكذلك (نزل) ن/=/ /ز/=/ل/=/.

وانطلاقا من هذا يكون التقطيع المزدوج قانوناً أساسياً من قوانين اللغة البشرية، ولهذا المبدأ قيمة لسانيّة، ذاك أنه يمنح اللغة القدرة على التعبير عن اللامتناهي من الأفكار والمعاني المجردة بواسطة هذا العدد المحصور من الفونيمات (أي الأصوات اللّغوية/ الحروف) وهذا ما يؤسس الإقتصاد اللّغوي في اللّسانيّات (L'économie linguistique).

ثانيا : المظاهر التي تتجلى فيها اللغة: نص البرنامج في هذا المجال على:

1- نظام يتكون من وسائل تعبيرية، تؤدي وظيفتها في الفهم المتبادل، أي إنها نظام وظيفي يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل، فكل البنى اللغوية على المستويات جميعا (الصوتية

[1]_ ايلواررونال مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: بدر الدين قاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، السعودية، 1980،ص82

[2]_ باب سليم عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة – علم التراكيب – الجزائر،1990،ص74

والصرفية والنحوية والدلالية) محكومة با ظائف التي تؤديها في المجتمعات، ولذلك ينبغي على اللسانيين أن يدرسوا الوظيفة الفعلية لأحداث النطق الملموسة: ما الذي يجري توصيله؟ وكيف؟ وإلى من؟ وفي أي مناسبة؟

2- اللغة حقيقة واقعية ملموسة، فهي تتأثر بعوامل خارجية غير لغوية (مثل: الوسط الاجتماعي، والمتلقي، والموضوع). .لك، فمن الضروري التمييز بين أنماط اللغات في المجتمعات (لغة الثقافة، لغة الأعمال الأدبية ، لغة الأبحاث العلمية، لغة المقالات الصحفية، لغة الشارع)؟

3- تشتمل اللغة على نوعين من تجليات الشخصية الإنسانية: التجلي الذهني والتجلي العاطفي. وعلى البحث اللساني أن يميز أشكال اللغة التي تعنى بتوصيل الأفكار وتلك التي تعنى بتوصيل العواطف.

ولما كانت اللسانيات الوظيفية معنية أساسا بعملية التواصل اللساني فقد اهتمت خلافا لسوسير بالكلام، أي بالتحقيق الفعلي للنظام اللغوي. وقد وضع ياكبسون نموذجا للتواصل قريب من نموذج التواصل المصاغ في نظرية التواصل، ويتكون من ستة عناصر كما هو ممثل في الشكل التالي[1]:

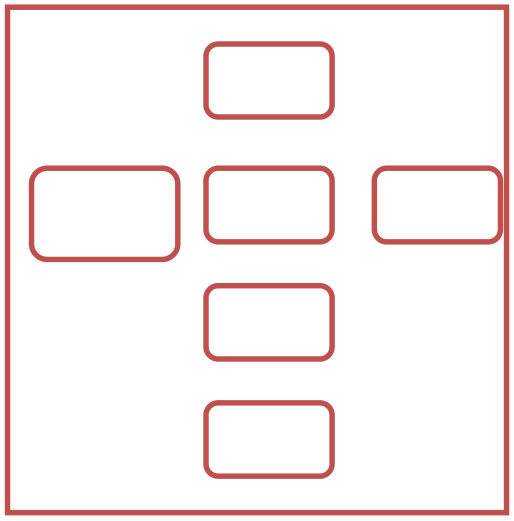

[1] – سليم باب عمر وباني عميري، اللسانيات العامة الميسرة – علم التراكيب، المصدر السابق، ص 75

- ***المرسل :*** منشئ الرسالة (المتكلم)
- ***المرسل إليه:*** مستقبل الرسالة (السامع)
- ***السياق (context):*** مضمون الرسالة كما يتمثلها المرسل إليه
- ***قناة اتصال:*** الوسط المادي الناقل للرسالة، والاتصال النفسي بين المرسل والمرسل إليه
- ***رامزة (code) :*** نظام الرموز (العلامات اللغوية/ الألفاظ) الذي يستخدمه المرسل لإنشاء الرسالة في عملية الترميز (تشفير encoding) والذي يستخدمه المرسل إليه لفك الترميز (حل الشيفرة decoding).

ينفتح هذا النموذج على التنوعات الممكنة للغة (أنماط اللغة: الأدبية، العلمية، الإخبارية الخ)، فتنبثق عنه على ما حدد ياكبسون ست وظائف لغوية وفقا لعنصر الاتصال الذي تركز عليه الرسالة وهي كالتالي[1]:

1- الوظيفة التعبيرية (expressive)/ أو الانفعالية: إذا كان تركيز الرسالة على المرسل، فالوظيفة التي تؤديها هي التعبيرية، أي الانفعالية العاطفية. وتتمثل في الرسائل التي تركز على الحمولة الانفعالية والوجدانية للمرسل من حيث يقدم انطباعه وانفعاله تجاه شيء ما.

2- الوظيفة الإفهامية (conative): إذا كانت الرسالة تركز على المرسل إليه، فالوظيفة التي تؤديها هي الوظيفة الإفهامية. وتتمثل في الكلام الموجه بصيغة المخاطب، ويكثر فيها أساليب الأمر والنهي والنداء والاستجداء وإثارة الحماس. وأكثر ما تتمثل في الخطب الدينية والسياسية، والشعر الملحمي.

3- الوظيفة المعرفية (cognitive)/ أو المرجعية: إذا كانت الرسالة تركز على السياق (مضمون الرسالة) فإن الوظيفة التي تؤديها هي المعرفية أو المرجعية، وذلك في الرسائل التي تتضمن الإبلاغ والإخبار، وتتمثل في الحديث اليومي والمقالات والكتب العلمية والأخبار الصحفية.

[1] _ عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل. اللاذقية، دار الحوار،2003،ص82

4- الوظيفة الانتباهية (phatic): إذا كان التركيز على الاتصال، فالوظيفة التي تؤديها الرسالة هي الوظيفة الانتباهية. وتتمثل في العبارات التي نرددها بقصد الحفاظ على سيرورة التواصل بين المرسل والمستقبل، وصحة تمثل المستقبل لمضمون الرسالة.

5- الوظيفة الشعرية (poetic): إذا كانت الرسالة تركز على ذاتها فالوظيفة التي تؤديها هي الشعرية. وتتمثل في القصائد الشعرية، وفي غيرها أيضا من الأجناس الأدبية، مثل الرواية والقصة.

6- الوظيفة الميتا لسانية (metalinguistic): إذا كانت الرسالة تركز على عملية الترميز فإن الوظيفة التي تؤديها هي الميتا لسانية، وتتمثل في اللغة الواصفة لمضمون الرسالة، والشرح الذي يتخلل الكلام[1].

و على وجه الإجمال يكن القول: إن ما يميز الوظيفيين ممن سبقهم من البنيويين لا سيما دو سوسير وأتباعه، عدم الفصل بين البنى اللّغويّة، ووظائفها، وعدم إمكان عزل اللّغة عن نسيجها الاجتماعي، وإغفال الفرق بين اللغة والكلام، والتشديد على التفاعل بين النظام (أو البنية)، والسياق، وإعطاء الوظيفة أهمية أكبر من البنية نفسها، ورفض النسبية، والقول بالعموميات التي تنطبق على كل اللغات، وعدم الالتزام بالتفريق الحازم بين الدراسات التعاقبية، والتزامنية كما رسمه دو سوسير.

المبحث الرابع: المدرسة النسقّية:

من أشهر المدارس اللّسانيّة التي ظهرت في أوروبا في مطلع القرن العشرين مدرسة كوبنهاغن. ولئن كان بعض الباحثين ينظرون إلى هذا العمل في ميدان اللّسانيّات على أنّه لا يُمثِّل مدرسة بأتّم معنى الكلمة. بل مجرد نظرية لسانيّة تعرف باسم: الغلوسيماتيك(Glossematique). فإن بعضهم الآخر يَعدُّها مدرسة كوبنهاغية أو مدرسة دانيماركية لأن مؤسسيها الأوائل دانماركيون، ولأنه من الصعوبة بمكان، أن نجد من اللّسانيّين الدانيماركيين من لم يتأثر بها، ومن لم يطبق بعض مبادئها[2].

[1] _ عبد القادر الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل، المصدر السابق،ص83-84

[2] _ مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور،ص157

وقد حاول أصحاب هذه النظرية أن يحدثوا ثورة عارمة على الأساليب القديمة لدراسة اللغة. وبالفعل، لقد أضفى هؤلاء الباحثون في دراستهم اللّغويّة صبغة علميّة، وكسوها بمصطلحات غريبة، وصاغوا عناصر اللّغة في رموز جبرية، وتراكيبها في معادلات رياضية. وقد أحدث هذا الأمر ردود أفعال عنيفة من قبل اللّسانيّين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والفلسفية.

1- النشأة والتطور:

يرجع الفضل في تأسيس مدرسة كوبنهاغن إلى اللّسانيّ الدانماركي "لويس يلمسليف"(1899-1965) صاحب النظرية البنيويّة التحليليّة الشهيرة: الرياضيات اللّغويّة(Glossematics)، ولقد كان لوالده الذي شغل منصب أستاذ الرياضيات، وتقلّد رئاسة جامعة كوبنهاغن، أثر عظيم على نبوغه في مجال اللّسانيّات.

التحق "يلمسليف" بجامعة كوبنهاغن سنة 1916م. وما إن فرغ من دراسته الجامعية حتى غادر وطنه طلباً للعلم والمعرفة في بعض بلدان العالم. فدرس بلثوانيا في عام 1921م وببراغ في عام 1923م، ثم سافر بعد ذلك إلى باريس، وأقام هناك عامين كاملين من 1926 إلى 1927م. واتصل خلال هذه الفترة بميي (Meillet)وفندريس (Vendryes)، وتابع محاضراتهما في اللّسانيّات، كما تعرّف خاصة على أفكار دي سوسير ومناهجه التي ساعدته على إرساء دعائم نظريته العالمية الجديدة الغلوسيماتيك.

ومما لا شك فيه، أن الرجل قد تأثر كثيرا بالمنطق الرياضي، والمنهج العلمي السائد آنذاك، ولا سيّما المنطق النمساوي لكارناب(Carnap). وهذا مانلحظه في الأسس العقلانية التي بنيت عليها نظريته. وقد تُوِّج عمله بمناقشة رسالة دكتوراه بعنوان " راسات بلطيقية" في عام 1932م. وبعد هذه الجهود التي بذلها في العلم والتحصيل المعرفي، شغل منصب أستاذ اللّسانيّات في جامعة كوبنهاغن، وظلّ يحاضر هناك حتى خلف بيدرسن(Pedersen) سنة 1937 في كرسي اللّسانيّات المقارنة[1].

[1] _ مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، المصر السابق، ص158

وفي عام 1933م، اشترك كلّ من يلمسليفوأولدل(Han jorgenuldall) في بلورة بحث علمي متخذين موقفا مغايرا من مدرسة براغ. وفي عام 1935م، اقترح هذان الباحثان تسمية النظرية الجديدة التي كانا بصدد تقديمها في المؤتمر الدولي الثاني للعلوم الصوتية بعلم الفونيمات (Phonematics) بوصفها نظرية متميّزة عن نظرية براغ الفونولوجية، وأثناء المؤتمر الدولي الثالث للّسانيّات، الذي انعقد بكوبنهاغن سنة 1936، كانت رغبة التمايز عن علماء مدرسة براغ قد تجسدت بخلق مصطلح: الغلوسيماتيك وبالفعل، فقد تمّ توزيع نص قصير على المؤتمرين بعنوان: "مختصر المخطط التمهيدي للغلوسيماتيك". وفي عام 1938م أسّس يلمسليفوفيغوبروندال(ViggoBrondal) مجلة Acta linguistica ملحقة بعنوان فرعي " مجلة دولية للّسانيّات البنيّويّة"، وكان هذا العمل أول فعل رسميّ لنشأة البنيّويّة بوصفها اتجاها جديدا في أوروبا. ومنذ عام 1944م، بدأت أعمال الحلقة اللّسانيّة لكوبنهاغن تتوالى على منوال أعمال الحلقة اللّسانيّة لمدرسة براغ.

وعلى الرغم من أن يلمسليف قد أصدر مؤلفات عديدة، فإن مدرسة كوبنهاغن، أو بالأحرى، نظرية الغلوسيماتيك، قد أخذت شكلها الحالي من مؤلفاته الثلاثة التالية[1]:

أ- مبادئ النحو العام، كوبنهاغن 1928.

ب- محاولة في نظرية المورفيمات، كوبنهاغن 1936.

جـ- مقدمة في نظرية اللغة، كوبنهاغن 1943.

وإن مؤلفه الشهير هو " مقدمة في نظرية اللغة" ، ولايربو هذا العمل عن 112 صفحة، وقد جاء عنوانه باللغة الدانماركية على هذا النحو:Omkringsprogteoriens ولم يترجم إلى الإنجليزية ليكون في متناول أكبر فئة من القراء إلاّ سنة 1953م تحت عنوان: Prolegomenato a Theory of langauge

[1] - المصدر السابق، ص 160.

وبعد الحرب العالمية الثانية، أصبحت هذه النظرية اللّسانيّة معروفة كثيرا خارج الدانمارك. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، قام عدد من اللّسانيّين بمساهمات قيّمة مبنية على النقد البناء لهذه النظرية، ومن بين هؤلاء: رولن والز (Rullon Wels)، وبول كارفين (Paul Carven)وإينارهوغن(Einarhaugen) وسيدني لامب (Sydney Lamb) حتى أضحت الغلوسيماتيك موضوع مناقشات موسعة على مستويات مختلفة. وقد أعلن "لامب" أن اللّسانيّات الطبقية التي طوّرها هو بنفسه، ماهي إلا عمل مُكمِّل ومُجدّد لنظرية يلمسليف.[1]

2- فحوى نظرية الغلوسيماتيك:

جاءت هذه النظرية لتتخلى عن الدراسات اللّغويّة المتأثرة بالفلسفة، والأنتروبولوجيا واللّسانيّات المقارنة. وتقيم لسانيات علميّة مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكليّة، تعنى بوصف الظواهر اللّغويّة، وتحليلها، وتفسيرها بطريقة موضوعية. وتتميّز هذه النظرية عن باقي النظريات اللّسانيّة الأخرى بدرجة لا مثيل لها من التجريد النظري وبخاصة في مجال التعريف والتنظيم والتصنيف. وكما يقول عنها "يلمسليف" إنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائيّ، يُمَكّن من فهم كلّ النصوص من خلال الوصف المنسجم والشامل. نها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكليّة، والتعريفات المحكمة التي تُمكّن من إحصاء كل إمكانات التأليف بين عناصر النص الثابتة[2].

والشيء الغريب الذي نلحظه في هذه النظرية هو الميل الشديد تجاه صياغة مفردات جديدة، واستعمال عبارات عتيقة بمعان جديدة فمصطلح "غلوسيماتيك"" Glossematics" اشتق من الكلمة الإغريقية "Glossa" التي تعني اللغة. وتهتم الغلوسيماتيك بدراسة الغلوسيمات؛ أي الوحدات النحوية الصغرى التي لا تقبل التجزئة وتنقسم بدورها إلى قسمين: وحدات التعبير، وتدعى "سوانم"(cenemes) ، ووحدات المحتوى، وتدعى "مضامين" (plereme). وقد اشتق مصطلح

[1]_ مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور،ص159

[2]- المرجع نفسه، ص160.

(cenemes) من الإغريقية "kenos" بمعنى "فارغ" ومصطلح (plereme) من الإغريقية أيضا (pléros) بمعنى "مليء". وهكذا فإن الوحدات ذات المحتوى كمورفيمات مدرسة براغ، أو مونيمات مدرسة جنيف أصبحت تدعى "مضامين" أو مكونات دلالية(pleremes) وعلاوة على هذا، فمصطلح"phonematics" التي ظهر في عام 1935 استُبدل بمصطلح "cenematics" في عام 1936، كما نلاحظ مصطلح "تعالقات""correlation" للدلالة على العلاقات الاستبدالية. ومصطلح "علاقات"" relations" للدلالة على العلاقات الركنية الأفقية، ومصطلح "وظيفة""fonction" للدلالة على كلّ علاقة أفقية بين أي مفردتين، ويختلف مفهوم "الوظيفة" في هذا السمت عن كل المفاهيم التي اقترنت بهذه الكلمة، سواء في النحو التقليدي، أو الرياضيات، أو اللّسانيّات الحديثة. ويدل على كل علاقة غير مادية ومجردة وشكلية. ومن المصطلحات التي استعملها يلمسليف أيضا: مستوى التعبير ومستوى المضمون والنظام، والنص، والتحليل، والمتغيّر، والتحفيز والنمط، والموظف. وقد استبدل يلمسليف ثنائية اللغة والكلام لدى سوسير بثنائية أخرى أطلق عليها النمط (schema) والنص (text) أو الاستعمال[1](usage).

وحسب يلمسليف، هناك خمس سمات أساسية تدخل في البنية الأساسية لكل جملة، (1) تتألف اللغة من مضمون وتعبير، (2) تتألف اللغة من تتابع أي نص ونظام، (3) يتصل المضمون بالتعبير اتصالا وثيقا خلال عملية التواصل، (4) ثمة علاقات محددة ضمن التتابع والنظام،(5) لا يوجد تطابق تام بين المضمون والتعبير، ولكن العلامات نفسها قابلة للتجزيء إلى مكونات ثانوية، والجدير بالذكر، أن أهمّ شيء في هذه النظرية ليس تلك الأصوات والحروف والمعاني في حدّ ذاتها، ولكن علاقاتها المتبادلة ضمن سلاسل الكلام وبنماذج النحو، فهذه العلاقات هي التي تصنع نظام اللغة الداخلي، وتجعلها تتميز عن باقي اللّغات الأخرى. أما الأصوات والحروف والمعاني لوحدها، فليست لها أيّة علاقة بالنظام.

ومما لا شك فيه، أن هذه النظرية قد عُنيت بالمصطلحات اللّسانيّة، وتناولتها بكلّ دقة وبراعة، ويلاحظ القارئ لمقدمة يلمسليف أن هناك ثبتا لمائة وثمانية مصطلحات في آخر كتابه لتوضيح

[1] _ مومن أحمد ، اللسانيات النشأة والتطور، المصدر السابق، ص160

المفاهيم التي استعملها في تنظيره، ومع هذا فقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بأن هذه النظرية قد اكتسبت شهرة سيئة بسبب مصطلحاتها الوعرة والمنفرة.

3- نظام اللّغة:

يرى يلمسليف أن نظريته ماهي إلا امتداد طبيعي لنظرية دي سوسير، وبلورتها في قالب علميّ، وقد عد نفسه المتمم الحقيقي لأفكار هذا العلامة الذي أصبح يعرف بأب اللّسانيات. وبالفعل فقد نادى يلمسليف بما نادى به دي سوسير من قبل: وهو أن اللّغة شكل وليست مادة، وأن المادة ليس لها معنى في ذاتها، ويمكن أن تكون صوتية أو مكتوبة أو إشاراتية بالنسبة للدوال، أما بالنسبة للمدلولات، فقد ذهب أبعد من دي سوسير، وأعلن أن القيّم المجردة للعبارات هي وحدها التي لها وجود. وبهذا فإن اللّغة نظام من القيّم، وإن مفتاح تحليل هذا الشكل هو اللّسانيّات المحايثة المتكاملة في ذاتها والمبنية على منهج استنباطي موضوعي. وفي هذا الخصوص يقول "مونان": "إن المبدأ السوسيري الأولي والأساسي الذي يؤكد على تمييز العلوم اللّسانيّة عن باقي الدراسات اللّغويّة". ويَعُدُّ اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها الموضوع الحقيقي والوحيد للّسانيّات.

وفضلا عن هذا، فقد استبدل "يلمسليف" ثنائية الدال والمدلول بثنائية مستوى التعبير ومستوى المحتوى، وأكدّ أن اللغة تتكونّ من هذين المستويين اللذين تجمعهما علاقة تدعى العلامة اللّغويّة (linguisticsign) ، وكلّ مستوى يخضع بدوره إلى ثنائية أخرى، هي ثنائية الشكل والمادة، وتنتج هذه التعالقات أربع طبقات منطقية[1]:

أ- مادة المحتوى (الأفكار).

ب- شكل المحتوى (البنية التركيبية والمعجمية).

ج- شكل التعبير (الفونولوجيا).

د- مادة التعبير (الفونيتيك).

[1] _ أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور،ص161

وإذا كان المحتوى والتعبير يتمتعان بقيمة واحدة، فإن كلاّ منهما يفترض مسبقا وجود الآخر، ويرتبط ارتباطا شديدا بالوظيفة العلاميّة. ومن ناحية أخرى، فإن المادة تفترض مسبقا وجود الشكل، والعكس غير صحيح، وعلى هذا الأساس، تكون مادة التعبير عبارة عن أصوات خام، ويكون شكل التعبير عبارة عن قوالب تركيبية مختلفة للمادة كالفونيماتوالمورفيمات وغيرها، وفي حديث لروبينز (Robins) عن هذه الثنائية، يشير إلى أن مستوى التعبير يتكوّن من الأصوات اللّغويّة أو الفونولوجيا، ومستوى المحتوى يتكوّن من الأفكار والدلالة والنحو، ويكون مستقلا عن المقاييس غبر اللّغويّة، ولا بدّ أن يكون تحليل التعبير مستقلا عن المقاييس الفونيتيكية غير اللّغويّة، وأن يحلّل المستويان إلى مكونات نهائية، فكلمة "فرس" مثلا: تُحلّل إلى /ف/،/ر/،/س/ على مستوى التعبير، وإلى "خيل"، أنثى مفردة على مستوى المحتوى، ولذا فلا وجود ثمة لأيّة صلة بين الأصوات أو الحروف بمفردها والعناصر الأولية للمحتوى. ولا يستطيع الباحث أن يعرف أن صوتين مختلفين هما مادة لعنصرين مختلفين من عناصر التعبير في لغة معيّنة، إلا إذا وجد أن الاختلاف بينهما يمكن أن يؤدي إلى اختلاف بين معنيين، وذلك كالاختلاف بين الأصوات الاستهلاكية في الزوجين: سلام وكلام، وكبير وخبير.

4- المبادئ العامة للغلوسيماتيك:

يُعدُّ عمل يلمسليف أول محاولة لتأسيس نظرية لسانية علميّة وصفية، وفق مقدمات منطقية بديهيّة، ومبادئ معرفية تفسيرية، ومن هذه المبادئ[1]:

أ- مبدأ التجريبية (EmpiricalPrinciple):

انفرد "يلمسليف" بإعطاء مبدأ التجريبية معنى مختلفا تماما عن جميع المعاني المعهودة. فهو يرى أنه يعتمد على الملاحظة والاختبار، ويجمع بين ثلاثة معايير: اللاتناقض، والشمولية، والتبسيط. وتُكوِّن هذه المعايير القاعدة الأساسية لكل التراكيب المنطقية، ولا تتوفر شروط الدراسة العلمية الموضوعية إلا باحترام هذا المبدأ. أما من حيث أهمية هذه المعايير، فيأتي معيار اللاتناقض في الرتبة الأولى، ومعيار الوصف الشامل في المرتبة الثانية، ومعيار التبسيط في آخر المقام.

[1] ـ روبنز،ر.هـ. موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ترجمة:أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997،ص201

وإذا ما خلصت النظرية اللّسانيّة إلى بناء عدة مناهج إجرائية توفر كلّها الوصف الشامل لأيّ نوع من النصوص، فلا بدّ من اختبار المنهج الذي يفضي إلى أبسط وصف ممكن. أما إذا ما أتاحت لنا المناهج المختلفة أوصافا بسيطة على حد سواء، فينبغي أن نختار المنهج الذي يؤدي بنا إلى النتيجة من خلال أبسط الإجراءات الممكنة.

ب- مبدأ الإحكام والملائمة:

عزا "يلمسليف" إلى نظريته الغلوسيماتيكية خاصيتين أساسيتين: الإحكام والملائمة. فالمصطلح الأول ورد في محاضرات دي سوسير بمعنى الاعتباطية، وفي مقدمة "يلمسليف" بمعنى الاحكام، فلكي تكون النظرية ناجعة من الناحية المنطقية —في نظر يلمسليف- لا بدّ أن تخضع لمعيار الاحكام أو الاتّساق التام؛ ، أن تكون النتائج الطبيعية لأي قضية تابعة لمقدماتها المنطقية. وقد تكون النظرية على درجة منطقية عالية، ولكنها عديمة الجدوى من الناحية العلمية. ذلك أنه بإمكان أيّ عالم من علماء الرياضيات أن يبني جبرا، أو حسابا متماسكا، وشاملا، وبسيطا، ومحكما، ولكنه عديم الجدوى، لأنه غير قابل للتطبيق على العلاقات التي تفرزها المعطيات التجريبية. وكذلك الشأن بالنسبة للنظرية اللّسانيّة، فإذا لم تكن منطقية، فلا يمكن تطبيقها على مدونات لغوية أخرى، وتقييمها بطريقة موضوعية. ومن جهة أخرى، فلكي تكون النظرية ناجعة، لابد أن تكون "ملائمة"، وتكون النظرية ملائمة —برأي يلمسليف- عندما تلبي مقدماتها شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات التجريبية.[1]

ومن هنا نقول أنّ المدرسة النسقية تميزت عن غيرها من المدارس السابقة في نظرتها إلى اللغة حيث إعتبرها شكل أكثر من كونها مادة، وقامت على مجموعة من المبادئ من أبرزها مبدأ البنية والتجربة بالإضافة إلى مبدأ الملائمة، وقد إتبع "يلمسليف" المنهج الاستنتاجي التحليلي الذي يقوم على مبدأ التجريب القائم على الملاحظة والإختبار.

[1] ـ روبنز،ر.هـ. موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، المصدر السابق،ص202

المبحث الخامس: المدرسة التوزيعية:

نشطت الدراسات اللّسانيّة في أوروبا وأمريكا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، إذ أصبحت دراسة اللغة منذ حوالي نصف قرن علما مستقلا بذاته، يتخذ من اللغة وسيلة وغاية في الآن ذاته، واللّسانيّات علم قد تكوّن ولكنه لا يزال يتطور التطور اللازم لنضجه، وإن الجهود الفردية القادمة سترسي قواعد الكثير من أسسه ووسائله ونتائجه، وهذه الدراسات ما زالت وقفا على المتخصصين فيها، وعلى القلة من مريديهم[1]. هذا وقد نشطت الدراسات الأمريكية في القرن العشرين، إذ انطلقت من الأنثروبولوجيا، وكان هذا عاملا مساعدا على تطويرها. ويمكن القول إن إرهاصات البحث اللّسانيّ تمثلت في جهود كل من "فرانس بواس" و"إدوارد سابير" و"بلومفيد" في كتابه "اللغة"، أما عن مقدمة بواس التي وردت في كتابه "دليل اللغات الهندية الأمريكية" الذي صدر في 1911، هذا التاريخ الذي يعتبر الميلاد الرسمي للسانيات الأمريكية حيث ذكر فيها "بواس" ذكرا موجزا المنهج الذي اتبعه في دراسة ووصف تركيب هذه اللغات، وخلص أخيرا إلى النتيجة القائلة أن التغيير الذي نلمسه في اللغات الإنسانية إنما هو في الواقع أكبر بكثير مما يبدو ظاهريا إذا ما بنى المرء تعميماته على الوصف القواعدي للغات الأوروبية، مما يعني عدم وجود لغة مثالية يمكن أن يقاس عليها، وعرفت هذه الفكرة بالنسبية اللغوية، كما وجد أيضا أن التشويه قد اعترى وصف اللغات المحلية والنادرة في أمريكا الشمالية بسبب إخفاق اللغويين في فهم إمكانية اللغات وتنوعها، ومن المتفق عليه أن أهم علماء اللّسانيّات بعد "بواس" هما "إدوارد سابير"، و"ليونارد بلومفيلد" اللذان تأثرا به، وأخذا عنه الكثير، وقد كان كل منهما يختلف عن الآخر سواء في القدرة على الإقناع الفلسفي أم في طبيعة الأثر الذي تتركه. أما "سابير" فقد اهتم بدراسة اللغات الجرمانية غير أنه وقع تحت تأثير "بواس" وهو لم يزل بعد طالبا، فتحول إلى دراسة اللغات الهندية الأمريكية، وقد صدر له عام 1921 كتاب بعنوان " اللغة" موجها إلى القارئ العادي، وكتابه هذا يحمل نفس اسم كتاب "بلومفيلد"، لكنهما يختلفان اختلافا بيّنا، فقد بذل "بلومفيلد" جهودا معتبرة في ميدان اللّسانيّات وعرف له البحث اللّسانيّ الأمريكي دراسات لغوية أكثر من غيره، على الأقل أثناء الفترة الممتدة بين 1933 و1957 وكتاب "بلومفيلد" هذا يعد منطلقا للسانيات الأمريكية في دراستها اللغوية

[1] _ محمود السعران، علم اللغة- مقدمة إلى القارئ العربي- دار الفكر العربي، ط1، 1991، ص20

البنيّويّة، حيث نادى فيه بضرورة دراسة اللّسانيّات دراسة مستقلة وعلمية، ولنا أن نتوقف مع أهم الأفكار الواردة فيه، والتي نلخصها فيما يلي[1]:

1- الدعوة إلى علمية اللّسانيّات وشكلنتها وفق الرؤية السلوكية ومنهج الفلسفة الوضعية ذات المنزع الوثوقي.

2- اللغة سلوك إنسانيّ مكتسب في البيئة.

3- المنهج الآلي هو الأنسب لوصف ظاهرة الكلام من حيث هي نتاج لسلسة من المثيرات تتبعها سلسلة من الاستجابات.

4- الاكتساب اللغوي يخضع لعوامل الدافعية والتعزيز والقياس والمحاكاة.

5- رفض إقحام العوامل غير الفيزيائية في وصف الحدث الكلامي مثل: الروح والعقل والإرادة والحدث لعدم قابليتها للاختبار، وفي هذا السياق يقرر عدم جواز الاعتقاد بإمكانية تفسير وقائع غامضة من خلال فرضيات فلسفية أو سيكولوجيةأكثر غموضا منها، فالحقيقة الموجودة في هذه العمليات هي العملية اللغويّة فقط.

6- عدّ المعنى أضعف نقطة في اللّسانيّات، وبالتالي لا يمكن وصفه إلا من خلال ما هو منتج فعلا من الكلام، وسيظل الأمر على هذه الحال حتى تحرز المعرفة اللّسانيّة تقدما في هذا الموضوع.

7- اعتماد مبدأ التوزيع في دراسة الشكل اللّغويّ (المورفيم) من خلال تحليل العينة التي يتم جمعها من المخبر اللّغويّ.

ومما سبق يتضح لنا أن "بلومفيلد"- وهو رائد التوزيعية –كان متأثرا بعلم النفس السلوكي أيما تأثر فبالغ في تضييق نطاق العلم اللّغويّ، مستبعداً من الدراسة العلمية للكلام المعنى أكثر مما يلزم، ثم غالى أتباعه من بعده في الابتعاد عن المعنى لا سيما في تحليل بنية اللغة عن طريق العناصر الصوتية فقط، والتي تتخذ من خلالها أقسام الخطاب بموقعها وتوزيعها ضمن المحيطات التي يمكن أن تشغلها، وليس بوظيفتها الدلالية، وهذا ما يعرف **بالتحليل التوزيعي**[2]، الذي وسّعه تلميذه "هاريس"، إذ يشير "روبنز" إلى "هاريس" بوصفه توزيعا بقوله :" إن هاريس الذي يمكن النظر لكتابه بوصفه تطويرا لبعض الجوانب البلومفليدية لأقصى مداها، أمكنه أن يكتب أنّ خطوات التحليل اللّغويّ تجري

[1] _ صالح الكشو، مدخل إلى اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس-ليبيا، 1985،ص111

[2] _ جورج مونان، تاريخ علم اللغة،ترجمة:بدر الدين قاسم، جامعة دمشق،1972،ص117

بتطبيق مزدوج ذي خطوتين رئيسيتين هما: تعيين العناصر وتعيين توزيع هذه العناصر بالنسبة إلى بعضها البعض..." وهذا يعني أن التحليل التوزيعي لا بد له من أن يقوم على عنصرين وهما الأساس وذلك بداية من تحديد العناصر بالنسبة لبعضها البعض وإبعاد المعنى في تحديدها، ثم بعد ذلك توزيعها، وقد كان كتاب هاريس ثورة منهجية مهدت لظهور المدرسة التوزيعية.

وقد عرّف "هاريس" التوزيع بقوله:" توزيع وحدة ما هو مجموع المواقع التي يمكنها أن تحتلها هذه الوحدة، وهو مانسميه علميا بالتوزيع داخل نماذج من الأحاديث الصغرى التي يجب أن تنتمي إلى الجزء نفسه من الجملة"[1].

معنى ذلك أن التوزيع بأبسط عبارة هو المواقع التي نجد فيها الوحدات داخل جمل تنتمي إلى متن لغوي معين، وبالتالي فالموقع الذي تحتله الوحدات هو الذي يحدد معناها، فالتوزيع إذن :" هو منطق التحليل اللّسانيّ في المدرسة الأمريكية الوصفية، وهو ينطلق من مدونة محدودة، ليحصر مجموعة السياقات أو المواضع التي ترد فيها الوحدات الدالة أي (الكلمات) عن طريق إستبدال كلمة بأخرى من أجل تحديد توزيعها، أي القسم الذي تنتمي إليه، متميزة بذلك عن الوحدات الأخرى" وهذا يدل على أن التوزيع برتبط بالموضوع الذي توجد فيه الكلمات، أي كل ما يحيط بها من عوامل خارجية، عن طريق الاستبدال.

ولم يبق التحويل باعتباره شكلاً للتوزيع مجرد انتقال من العبارة (أ) إلى العبارة (ب)، بل يبحث فيه أيضا في صلة القرابة بين هذه الجمل على أساس إمكانات القبول المختلفة، وفي هذا السياق يرى "هاريس" أن كافة الجمل الموزعة إلى مجموعتين الأولى تتمثل في العبارت المترابطة فيما بينها فقط والثانية العبارت المنحدرة من الأولى بحكم التحولات المختلفة، ولقد كتب "هاريس" عام 1946 مقالة بعنوان "**منالمورفيم إلى التعبير**" تعد عند اللّسانيّين أول نموذج تحليلي شكلي درس المورفيمات والمكونات المباشرة، كان لها تأثير فيما اعتمده "تشومكسي" في أبحاثه لاحقا في المستوى التحليلي البنيوي فقد كان آنذاك أحد تلامذة "هاريس"، ثم من مساعديه وزملائه فيما بعد.

هذا بالإضافة إلى أن "هاريس"، لقد وضع أمام اللّغويّ ثلاث مهمات في منهج التحليل التوزيعي وهي كالآتي:

[1] – الكشو صالح، مدخل إلى اللسانيات، ص115.

1- بادئ الأمر وجب استخراج أصغر الوحدات على المستوى البحث المعني (على المستوى الفونولوجي أو المورفولوجي) ويحدث ذلك من خلال تجزئة الكلام.

2- يجب أن يؤلف بين الأجزاء التي أبرزت في فئات (أقسام) معينة (للفونيماتوالمورفيمات) ويحدث ذلك من خلال التوزيع أي بحث كل المحيطات الممكنة الأجزاء المعينة على مستوى المعنى، فإن أمكن أن يكون لعنصرين المحيطات ذاتها، فإنهما يتبعان الفئة ذاتها[1].

وعندما تتوفر هذه المهام لدى اللّغوي، يقبل على مرحلة أخرى وهي كيفية حدوث التوزيع فتكون على النحو التالي:

تتحقق التجزئة بمساعدة الاستبدال توجد الأقسام أيضا، التي ترد إلى المحيط ذاته أي التي لها توزيع ذاته، وينبغي أن يجعل مفهوم التوزيع اللّغويّ الداخلي مفهوم المعنى غير اللغوي مفهوما زائدا، ويجب أن يتضمن المعنى في التوزيع فقط لنطاق تحديد ما.

مميزاتها:

يمكننا بسط أهم المميزات العلميّة والعمليّة لدى التوزيعيين فيما يلي:

1- تنظر إلى اللغة نظرة خاصة بحسب وجهة منوالها العلمي على اعتبار أن موضوع الدّرس اللّسانيّ هو" اللّغة مقابلة بالحديث" وهذا منطلق التوزيعيين.

2- تحديد النصوص والمقاطع اللّغويّة كأحداث معيّنة لها إطار مكاني وزماني محدّد.

3- تتبع منهجا معينا في تحليل المقاطع الصوتيّة ولها السبق في التأسيس لمصطلح "المؤلف" بحيث أنّ التوزيعيين يحلّلون المقطع الصوتي من اللّفظ إلى المورفيم ثمّ المؤلف كمرحلة أخيرة في التحليل.

4- تقوم الدّراسة الصوتيّة وفق مخطّط مرتب قوامه يكتب المسموع كتابة صوتية يراعى فيها التنغيم والنبر والمقطع والهدف هو البحث على الفوارق الصوتيّة المترابطة لتكوين الوحدات الصوتيّة الوظائفية الدنيا (الفونيم) وإدراجها في نظام صوتي يعكس ويمثّل حقيقة اللّغة.

5- لاشكّ أيضا من أنّ أعمال التوزيعيين لم تخل من الأثر النّظري لعلم النّفس السّلوكي وخاصة ما وجد عند "هاريس".

6- وتهدف هذه المدرسة إلى استعمال "الطريقة الشّكلية للوصول إلى المكوّنات المباشرة والمكوّنات النهائية"، فهذا الاتجاه له أطروحاته الخاصة لدراسة اللّغة دراسة علميّة.

[1] _ جرهادهلبش، تاريخ علم اللغة الحديث،ترجمة:سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1،ص 127

وما يمكن قوله في الأخير هو أنّ البنيويّة تعنى بدراسة المنجز في صورته الآنية بغضّ النظر عن السياق الذي أنتجه فيه أي أنّها تهتمّ بكيفية تصنيف الوحدات اللّسانيّة في الجملة على أساس وظيفتها الشكلية.

لبّ القول أنّ اللّسانيّات البنيّويّة كانت تبحث في دراساتها اللّغويّة عن العامّ بدل الخاصّ أي عن ما هو عام ومشترك بين جميع اللغات ولعل هذا ما أبعد ذلك المنهج البنيوي في كل دراساته عن الاستعانة بالعلوم الأخرى ولا يسعنا إلاّ أن نقول بأنّ اللّسانيّات الحديثة قد يكون ظهورها متزامنا مع فاردیناند دي سوسير وبالأخصّ مع مؤلّفه الشهير "***دروس في اللّسانيّات العامة***" إلاّ أنّ هذا الموقف قد يحدّد رأيا مهيمنا حول محور التخصص بل ويمنحه في الوقت ذاته تجانسا جليّا ولكن أيضا حدودا غالبا ما تكون رهن القيود.

ورغم كلّ ما سبق ذكره حول المنهج البنيّوي الذي يرتبط بميلاد علم اللّغة الحديث مع "فاردیناند دي سوسير" من خلال مؤلفه دروس في اللّسانيّات العامة تبقى هذه الدروس أو بالأحرى المحاضرات تلك الأرضية والركيزة التي انطلقت منها وقامت عليها العلوم الأخرى باعتبارها أوّل من درس اللغة في ذاتها ولذاتها.

الفصل الثاني: قراءات في مدارس اللّسانيّات مابعد البنّيويّة

- توطئة
- المبحث الأول: المدرسة التّوليديّة التّحويليّة وعقلانية دراسة اللغة
- المبحث الثاني: اللّسانيّات الوظيفية
- المبحث الثالث: اللّسانيّات النصية وتحليل الخطاب
- المبحث الرابع: اللّسانيّات التداولية

1- توطئة:

قبل الحديث عن تطور اللّسانيّات من الاتّجاهات البنيّويّة إلى ما بعدها، ينبغي الإشارة إلى أنَّ المتتبّع لدراسة اللُّغة عموماً، يجدها ناشئة غالبًا في الحقل الفلسفي أو الحقل الدّيني، على اختلاف توجُّهاته ومشاربه، وتلك كانت ميزة الدَّرس اللُّغوي قبل سوسير؛ حيث نشأت البحوث اللُّغوي ضمن القضايا الفلسفيَّة أو الدِّينيَّة. ولم تكن اللُّغة حينها بمعزل عن الفلسفة، ولكن اجتهاد سوسير في محاضراته وإلحاحه على المادَّة المستقلَّة للُّغة عن الفلسفة بغية تأسيس علم مستقل يدرسها (اللّسانيَّات)، جعل البحث اللُّغوي عموماً يبتعد عن الحقل الفسلفي، ليلخص إلى بناه وتراكيبه، وخصائصه.

وبعد مسيرة الاتّجاهات البنيويّة المختلفة، وربّما خلالها، تعود اللّسانيّات في منتصف القرن العشرين لتستند إلى الدّرس الفلسفي ومقولاته، وصار للفلسفة الحديثة أكثر من اتّصال باللّغة، ممّا جعلها أحد المصادر الهامّة لتطوّرات اللّسانيّات الحديثة. وسنلمس ذلك بوضوح خلال تتبّع مسار نشأة اللّسانيّات التّداوليّة.

والواقع أنّ فلسفة اللّغة حديثا ميّزت بين لغتين؛ لغة عاديّة، وهي اللّغة الطّبيعيّة الجارية كما يتكلّمها رجل الشّارع. ولغة مثاليّة صناعيّة، تشتمل على كلِّ الشّروط المنطقيّة والنّحويّة. وقد اختلف الفلاسفة حديثاً من داع إلى دراسة اللّغة الأولى، إلى داع إلى دراسة الثّانية.

وتُذكر في هذا السّياق بحوث (روسل) و (فيتغنشتاين) في اللّغة المثاليّة، ثمّ سرعان ما تراجعا ليقدّما بحوثاً في اللّغة العاديّة[1]. ويرى (فيتغنشتاين) أنّ اللّغة لعبة كسائر اللّعب، مستندا في ذلك إلى تشبيه سوسير اللّغة بلعبة الشّطرنج، ومخالفا له في بعض متعلقات اللّعب. والكلمات لا تحمل معنًى واحدا، ولا تخضع إلى استخدام واحد، هي تماماً مثل أدوات صندوق النجار؛ حيث تستخدم كلّ أداة في وظائف متعدّدة، وليس لكلّ منها وظيفة محدّدة لديه.

ونلخص اتجاهات فلسفة اللّغة عموماً في:

إيضاح القواعد النّحويّة وأصول اللّغات الطّبيعيّة، أو ما يعرف بـ (الفلسفة التّحليليّة) وتمثّلها أعمال فريج، هوسرل، روسل، فيتغنشتاين...

دراسة أفعال الكلام، نحو أعمال: أوستين، سورل.

التّحليل المنطقي للّغة واستبعاد الميتافيزياء، أو ما يعرف بـ (الوضعيّة المنطقيّة)، وتمثّلها أعمال (رودولف كارناب).

[1]- بوجادي خليفة، في اللّسانيات التداولية-مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم- بيت الحكمة، الجزائر، 2012، ص 26

البنيّويّة الفلسفيّة التي تنطلق من البنيّويّة اللّسانيّة، ولكنّها تضيف إليها الاهتمام بالواقع. وهو اهتمام فلسفي لا لساني.

التيّار التّأويلي الذي يوسّع المدلول إلى أبعد الحدود، نحو أعمال: ديتلي، كيمو، هيدغر، غادامير...

ومن أهمّ تأثيرات بحوثها في الدّرس اللّساني السوسيري أنّ العلاقة بين الدّال والمدلول التي شرحها سوسير، وأوضح أنّها اعتباطيّة، أصبحت علاقة بين الدّال وبين بعض تأثيرات بيانه. وقيمة العلامة تصبح قيمة جدالية على الأقل، لا قيمة مستقلة ثابتة، نحو مثال سوسير في تشبيه اللّغة بلعبة الشّطرنج، فالبيدق وإن كان لا يحمل قيمته في ذاته فإنّ قيمته لا تتحدّد، وخطورته لا تبدو، إلاّ من خلال حركته. وكذلك تتّصف قيم العلامات بالجدليّة.

و فيما يلي عرض لأهم التّيّارات اللّسانيّة لما بعد البنيّوية، والتي اعتمدت المعطيات اللّسانيّة السوسيريّة، واستندت إلى مقولات الفلسفة اللّغويّة.

2- المبحث الأول: التّوليديّة التّحويليّة وعقلانية دراسة اللّغة:

كثيرا ما يصنف تشومسكي بنظريته التوليديّة التّحويليّة ضمن التّيارات البنيّويّة، لأنّ منهجه يقوم على دراسة النّماذج والأشكال في بنية اللّغة، ولكن هذا المبحث آثر أن يجعله ضمن لسانيّات ما بعد البنيّويّة، لسببين:

الأوّل: إنّ ماقدمه تشومسكي في نظريّته يعدُّ نقطة تحوُّل بارزة في الفكر اللّسانيّ الأمريكي، والحديث عموماً، يتجاوزه كثيراً ممّا وضعه البنيويّون قبله في دراسة اللّغة، فضلاً عن أنّه وجّه انتقادات إلى البنيوية ذاتها، كونها تهتم بالتّحليل الشّكلي للّغة، دون الالتفات إلى المعنى أو إلى القواعد التي يلجأ إليها المتكلّم عند تكوينه الجمل، وهو ما يوصف بالكفاءة اللّغوية.

ولم تلق البنيّويّة الحظوة بعد مسيرتها الطّويلة، لأنّها اكتفت بدراسة البنى السّطحيّة دون العميقة وقوانينها. ولذلك انبرت التحويلية إلى استنباط القواعد العامة التي تحكم البنية، ولم تكتف بوصفها وتحليلها[1].

الثّاني: لم تكن دراسته للّغة تعتمد على بيان جوانب اللّغة ذاتها فحسب، وإنّما يصنّفها الدّارسون ضمن إسهامات اللّغويين أنفسهم في فلسفة اللّغة؛ حيث يبحث في طبيعة اللّغة، كيف يتعلّمها الطّفل، كيف تتطوّر القدرة اللّغويّة...؟ كما قدّم تفسيراً لعلاقة اللّغة بالمعرفة الإنسانيّة وتصوّراتها، إلى جانب أنّه مع سائر التّحويليّين الذين اتّبعوه، يلتقون مع فلاسفة اللّغة، لا سيما فيتغنشتاين " في ضرورة الاهتمام

[1]- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، المصدر السابق، ص 28

باللّغات الطّبيعيّة أو اللّغة العاديّة، وطبيعتها ووظائفها، وضرورتها لإدراك ما حولنا من أشياء ومعرفتنا للعالم".

من المعروف أن الاتجاه التوليدي أو النظرية التوليدية مدرسة قد أسست من طرف تشومسكي وأخذ يتطور محدثا انقلابا جذرياّ في الدراسات التركيبية بل في الدراسات اللسانية كلها وزعز عده عنها أفكار كانت تبدو و كأنّها مسلمات لا يمكن التراجع ، وذلك بوضع قواعد عقلية لإنشاء الجمل مخالفا في ذلك المدرسة التوزيعية التي سبقته ، والتي كان منهجها شكليا يتوخى الوصف السطحي للأشكال اللغوية.

1- تعريفها:

نظرية النحو التوليدية ظهرت بظهور كتاب البنى النحوية ،1957وهي نظرية تهتم بشكل الصورة التعبيرية ومعناها، ويقصر النحو التوليدي نفسه على عناصر معينة من هذه الصورة فاعتمد وجهة نظر علم النفس الفردي التي تهتم بوجود المعنى والصيغة التي تحددها" ملكة اللغة " وهي ما يفهمعلى أنّها أداة اكتساب اللغة وطبيعة هذه الملكة هي مادة بحث النظرية العامة للبينة اللغوية التي
تهدف إلى اكتساب إطار المبادئ والعناصر المشتركة بين ما يمكن تحققه من اللغات الإنسانية[1].

ومنه فقد جاء تشومسكي بالنحو التوليدي غير محاكيا للنحو التقليدي المدرسي في المفهوم والأهداف ، بل النحو عنده مجموعة القواعد الكامنة في ذهن المتكلم...وعلى هذا فالنحو
التوليدي هو: "نظام من القواعد التي تقدر وصفا تركيبيا للجمل بطريقة واضحة ، وأكثر تحديدا ،وهذا هو المراد بالنحو التوليدي ، و كل متكلم لغة ،يكون قد استعملها واستبطن نحوا توليديّا"[2].

وعُرِف أيضا النحو التوليدي بأنه نظرية لسانية وضعها تشومسكي ومعه علماء اللسانيات في معهد التكنولوجيا (بمساشيوسيت) الولايات المتحدة فيما بين 1960-1965 بانتقاد النموذج التوزيعي والنموذج البنيوي في مقوماتها الوضعية المباشرة باعتبار أن يُفسر عددا كبيرا من المعطيات اللسانية مثل الالتباس والأجزاء غير المتصلة ببعضها البعض.

ومنه يتضح جليا أن النظرية التوليدية جاءت قصد القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل انطلاقا من العدد المحصور من القواعد فيكل لغة وفهمها.

[1]- الماشطة حميد عبد الحليم، اللغة العربية واللسانيات المعاصرة ، دار الرضوان للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1434 هـ /2013 م، ص243

2- العلوي شفيقة،محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1،2004 ، ص41

2- سبب نشأتها:

يعود سبب تأسيس النظرية التوليديّة أو ما يسمى بالنحو التوليديّ لتكون قادرة على تفسير ظاهرة الإبداع لدى المتكلم وقدرته على إنشاء جمل لم يسبق أنُ وجدت أو فُهمت على ذلك لوجه الجديد. وقد أبدى افتراضات عن طبيعة الكلام وعن كيفية حدوثه وإنشائه. وبما أنّ الكلام خاصيّة من خصائص الإنسان يقوم على بنيات كونيّة متأصّلة في ذات الإنسان كعلاقة المسند إليه بالمسند. وهي العلاقة التي تمكّن الطفل من اكتساب النّماذج الخاصّة للّغة من اللّغات. والمحيط اللّسانيّ هو الذي يحرك هذه البنيات التي تكمن وراء الإجراء الكلامي[1].

وجاءت أيضًا لتسدّ الفراغ وترجع الأمور إلى مجاريها، فإن كانت البنويّة قد اعتمدت أول قبل كل شيء على تحليل الكلام دون أن تلتفت إلى كيفية الأحداث. فاللّغة ليست ظواهر لفظيّة في آن واحد، وإن كان دي سوسير قد وضع تقابله المشهور بين اللّسان والكلام فإن تشومسكي فرق بين الملكة والتّأدية[2].

3- موضوعها:

تتكون النظريّة التوليديّة من قواعد تحدد سلسة الكلمات أو الأصوات المتتالية التي يمكن قبولها أو رفضها. وهذا النحو يتمثل في مجموع المحصول اللساني الذي تراكم في ذهن المتكلم بالمعنى يعني Compétence"الكفاءة" اللّسانيّة والاستعمال الخاص عند التخاطب والذي يرجع إلى Preformence"القدرة" الكلاميّة والنحو يتألف من ثلاثة أجزاء أو مقومات:

- مقوم تركيبي ويعني نظام القواعد التي تحدد الجملة المسموح بها في تلك اللغة.

.- ومقوم دلالي ويتألف من نظام القواعد التي بها يتم تفسير الجمل المولدة من التراكيب النحوية

- ومقوم صوتي وحرفي يعني نظام القواعد التي تنشأ كلاما مقطعا من الأصوات في جمل مولدة من التر كيب النحوي[3].

4- معالمها:

مما لا شك فيه أن المذاهب والأصول التي استمدت منها النظرية التوليدية التحويلية متعددة ومختلفة ، نذكر منها:

---

[1]- بناني محمد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة ، الجزائر ، د ط ، 2001 م ، ص 76

[2]_ طالب الإبراهيمي خولة ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، حيدرة ، الجزائر ،ط 2 ، 2006 م ، ص 104

[3]_ بناني محمد الصغير ، المرجع السابق ، ص 77

1)- أول هذه المذاهب هو الاتجاه العقلي عند الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت ، ويتضح هذا في منهجه الذي أقامه على أسس عقلية حين رفض الوصف المحض للّغة ، وحين ربط بين اللّغة والعقل وظهر هذا التأثر جليا فيكتابه(علم اللّغة الديكارتي)[1].

2)- ويرى تشومسكي أن الإنسان قدُ وُهِبَ ملكة لغويّة، وأنّ الطفل يولد مزودا بهذه القدرة التي تمكنه من تعلم اللّغة واكتسابها ، ومزودة بقدرة دقيقة من الأصول النحويّة الكلية التي تمكنه من التعرف على ما يسمعه من كلام يتردد من حوله. وهذه الأصول اللغوية الكليّة هي جزء ممانسميه العقل.

وقد تثبت النظريّة التوليديّة التحويليّة الآراء العقلية من منطلقات لغويّة علميّة، كما تعتبر اللّغة نتاجا عقليا خاص بالجنس البشري دون غيره، ويرتبط ارتباطا وثيقا بالعقل الإنساني.

ويُبين تشومسكي أنه لا ينبغي الخلط بين القدرة التي يمتلكها الإنسان في استخدام اللّغة والحركات الطبيعيّة التي تؤدى وفقا للانفعالات أو الغرائز بصورة آلية كما عند الحيوان ، فالحيوان لايستطيع استخدام الكلام في التعبير عن دلالات أو أفكار مثل الإنسان، وهذه الخاصية هي ما تميز الإنسان الذي هو حّر في تفكيره ، وهذه التفرقة بين الإنسان والحيوان على أساس أن اللّغة هي الفرق الجوهري بهما،هي من الأفكار التي نادى بها ديكارت من قبل.

وفكرة ربط اللّغة بالعقل بدت أكثر وضوحا عند المفكر الألماني "همبولدتّ"الذي يرى أن اللّغة شكلين شكلا خارجيا (آليا)، وشكلا داخليا (عضويا) والشكل الأخير هوالأهم، لأنّه الأساس في كل شيء، أو هو البنية العميقة لما يحدث بعد ذلك على السطح، ولاينبغي أن ننظر إلى اللّغة باعتبارها نظاما عضويا التي تكون البنية العميقة. وقد دعا تشومسكي إلى الصعود إلى أفكار همبولدت فقال:" ينبغي الرجوع إلى التصور الهمبولدي للّغة، الذي يعد الكفاءة اللّغويّة نظاما من التطور التّوليديّ"[2].

كما تأثر تشومسكي بالنحو العبري والعربي وقد صرح باستفادته منهما فقال:إن دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري والعربي في القرون الوسطى،وقد درست هذا النحو على يديه وباعتباري طالبا في الجامعة فقد درست النحو العربي الحديث،كما درست النحو العربي في القرون الوسطى كذلك... فقد كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي البنية المنطقية للنظرية اللغوية، (وناقشت في هذه المقدمة كيف أن بعضا من دراستي المبكرة في صغري لنحو القرون الوسطى كان قد

[1]_ الراجحي عبده ، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، د ط، 1979 م، ص 119

[2]_ ابراهيم محمد ابراهيم محمد عثمان ، من المدارس الألسنية المدرسة التوليدية التحويلية، جامعة عمر المختار،ص 7

قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ، ونظرية النحو التوليدية، فكانت هذه الأفكار في الواقع هي المثل المعتبرة التي احتذيتها في الأربعينيات وأول بحث كتبته الأفكار، وكذلك في أواخر الأربعينيات).

5- مبادئ النحو التوليدي التحويلي:

تشكل أصول اللغة في إطار النظرية التحويلية، تنظيما بين الأصوات و المعاني و يشمل كل منها على تنظيم قواعدي.

أ)المكون الفونولوجي :phonologicallevel

يقوم المكون الفونولوجي بتخصيص كل تركيب لغويّ بنطق خاص، انطلاقا من لفظ كل مورفيم على حدة ومن خلال تآلف هذه المورفيمات، ويحتوي على مجموعة قواعد تختص بدراسة الأصوات اللّغويّة[1].

المستوى الفونولوجي عبارة عن تتابع مجموعة من الفونيمات والمورفيمات يستحيل حصرها وتصنيفها على مستوى الجمل،لأن عددها غير منته.

ب)المكون الدلالي:

يقوم المكون الدلالي بتخصيص كل تركيب بمعنى شامل انطلاقا من الدلالات الفردية للمورفيمات تؤلفه وثيق للطريقة التي تألف هذه المورفيمات فيحضى بالتالي كلا من التراكيب التي يولدها المكون التركيبي بتمثيل دلالي.

ويعيد المكون الدلالي النهج الذي يمكن المتكلم الحصول على معنى الجمل كلها من البنية التركيبة يخصص لكل مورفيم معنى أساسيا.

ج)المكون التركيبي:

هذا المكون هو المكون التوليدي الأساسي يعني نظام القواعد التي تحدد الجملة المسموح بها في تلك اللّغة، و يتألف هذا المكون من مكونين هما:

[1]_ ميشالز كرياء،الألسنية التحويلية و قواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986م ، ص 12

1-المكون الأساسي:composant de bose

يحتوي هذا المكون على مجموعة قواعد بناء وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية (المورفامات) ويحتوي كل مدخل على سمات تركيبية، وصوتية ودلالية.

يعد المكون الأساسي هو الوحيد الذي يفرد لكل بنية عميقة، التي تمثل التغيير الدلالي للجملة.

2– المكون التحويلي: composant transformotionnel

يحتوي المكون التحويلي على مجموعة التحويلات التي يبدل كل منها مشيرار كنيا بمشير ركني آخر، والتي تخضع إلى ضوابط بعضها كلية وبعضها الآخر خاص بكل لغة.

المكون التحويلي يمثلا لتفسير الفونولوجي للجملة ويرتبط بالبنية السطحية.

و قد استفاد تشومسكي من تقسيم اللغة عند دي سوسير لسان وكلام، وقد أطلق تشومسكي على لسان مصطلح "الكفاءة" وعلى كلام "الأداء".

– الكفاءة: competence

هي المعرفة الحدسية الضمية للّغة و هي القدرة على توليد الجمل وفهمها وعلى التمييز بين صحيح الكلام ، فتشومسكي يسمى القدرة على انتاج الجمل و تفهمها في عملية تكلم اللغة بالكفاءة اللّغويّة[1].

إن مصطلح الكفاءة اللغوية يشير إلى قدرة المتكلم على أن يجمع بين الأصوات اللغوية و بين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته.

– الأداء :Performonce

أو الإنجاز وهو التجسيد المادي لنظام اللّغة في احداث الكلام، أي أنّ الأداء هو الإستعمال الفعلي للغة في موافق معينة.

د) التوليد:

يعد التوليد من أهم المفاهيم التي جاء بها النحو و يتميز بها، ويقوم على انتاج عدد غير محدود من الجمل انطلاقا من العدد المحصور من القواعد في كل لغة وتمييزها عما هو غير سليم نحويا[2].

هـ) البنية العميقة: Structure profonde

هي التركيب الباطني المجرد الموجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا. وهي أول مرحلة من عملية

[1] _ لوشن نور الهدى، مباحث في علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص337

[2] _ علوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص41

الإنتاج الدلالي. والبنية العميقة هي البنية المولدة في قاعدة التركيب بوساطة قواعد إعادة الكتابة و القواعد المعجمية وهي التي تمثل التفسير الدلالي للجملة.

و) البنية السطحية :structure de surface

فهي تتمثل في التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة أو المكتوبة، إنها التفسير الصوتي للجملة. فالبنية السطحية نتاج للعملية التوليدية التي يقوم بها المكون التركيبي هي الشكل الصوتي للتتابع الكلامي المنطوق فعلا.

ز) الكفاية اللغوية والأداء الكلامي:

ينشأ كل إنسان في بيئة معينة تمكنه من التعبير بلغة تلك البيئة وهذا يعني أنه بإمكانه فهم عدد غير متناه من جمل هذه اللغة وصياغتها حتى ولو لم يسبق له سماعها من قبل، وتقتضي دراسة اللغة، بطبيعة الحال، دراسة تنظيم القواعد التي تتيح للإنسان تكلم اللغة، في إطار النظرية الألسنية التوليدية التحويلية نسمي المقدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة، بالكفاية اللغوية ونميز بين الكفاية اللغوية وبين ما نسميه بالأداء الكلامي، فالكفاية اللغوية هي المعرفة الضمنية باللغة في حين الأداء الكلامي هو الإستعمال الآني للغة ضمن سياق معين[1].

ويتضح من ذلك أن الكفاية هي القواعد التي تسمح للفاعل المتكلم داخل أي لسان من المقدرة على الكلام فهي القدرة الكامنة على واستعمال اللغة وفهمها، والتي تختلف عن قواعد الأداء الكلامي التي تعتمد على الحدس اللغوي أي درجة المعرفة والشعور بالأشياء.

6- المنهج التوليدي التحويلي و بناء الجملة:

اتجه اللغويون منذ سنة 1957م بصورة متزايدة إلى بحث بناء الجملة، فقد كانت موضوعات الأصوات وبناء الكلمة فانصرف لغويون كثيرون إلى بناء الجملة وهنا ظهر النحو التحويلي،

والفكرة الأساسية في النحو التحويلي التوليدي أن الوصف الدقيق للغة من اللغات إنما يعني تحديد الإمكانيات التعبيرية الكامنة في هذه اللغة. ويوصف هذا المنهج أيضا بأنه تحويلي، فهو وسيلة من وسائل تعرف طبيعة العلاقات بين الوحدات التي نعرفها باسم الكلمات، ولننظر مثلا إلى التركيب المكون من: الإسم+الضمير، لنجد العلاقات الكامنة بين هذا الإسم و ذلك الضمير متنوعة[2].

---

[1]_ ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية، ص07

2_حجازي محمود فهمي ، مدخل إلى علم اللغة المجالات والإتجاهات، دار المصرية السعودية، القاهرة، 2006م، ص 135

إن بناء الجملة هو موضوع النحو التوليدي التحويلي، حيث يصف اللغة ليكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية.

ويقوم التحليل التوليدي التحويلي على ثلاث مكونات[1]:

1- قواعد تركيب العبارة، ويمكن التوصل إليها عن طريق تحليل الجملة إلى مكونات صغيرة حتى يتم تحليل الجملة إلى أصغر عناصرها.

ويتضح لنا أن هذا التحليل يتعلق بالجانب التركيبي للجملة، حيث تحلل عناصر الجملة بأكملها.

2- القواعد التحويلية أي القواعد التي يمكن بواسطتها تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى.

3- الإجراءات التي تجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى عن طريق الحذف الزيادة ،التعويض، التقديم.

فالتحويلات تحافظ على البنية والمحيطات وهذه التحويلات تجري داخل البنية وتنشأ معها بنية جديدة مثلا تحويلات الربط وتحويل البناء للمجهول، والتي تضاف معها عناصر أو تحذف.

إن البحث في العلاقة بين البنية السطحية والبنية العميقة يعد محورا لتحليل بناء الجملة وغموض دلالة البنية السطحية لا يفسر إلا على أساس تعدد الأبنية العميقة لها.

إن البنية السطحية يحددها التطبيق للتحويلات النحوية على البنية العميقة. ولذلك فتحليل المكونات المباشرة كاف فقط لعرض البنية السطحية وليس للبنية العميقة في ذاتها.

7- هدف النحو التوليدي:

يرى تشومسكي أن هدف التحليل اللغوي، هو فصل الجمل النحوية في اللغة المعينة عن الجمل غير النحوية، وأن يشير إلى بنية الجمل النحوية، وذلك في مؤلفة الأول الأبنية النحوية.

فنحو لغة ما إذن هو وسيلة لتوليد كل الجمل النحوية وهذه الجمل وحدها، ولذلك نتحدث عن نحو توليدي، فالنحو التوليدي ليس في الأساس شيئا آخر غير تخصيص دقيق لمفهوم "جملة صحيحة نحويا في اللغة"[2].

---

[1]- المصدر السابق، ص 136

[2]_جرهاد هلبش، تاريخ علم اللغة الحديث، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء للشرق ، القاهرة ، ط1 ،2003م، ص 477

لقد كان الهدف الأعم للنظرية التّوليديّة التّحويليّة هو عمل إحكام المبادئ والأسس التي أدخلت المعرفة اللغوية التي يمكن إدراكها بواسطة استحداث جمل وكلمات جديدة وصحيحة نحويا.

3- المبحث الثاني: اللّسانيّات الوظيفيّة:

أوردنا سابقا أنّ الدّرس اللّسانيّ الغربي عرف تطورات كثيرة، آخرها التّوجه نحو دراسة اللّغة بمراعاة استحضار الوظيفة المنوطة بها، وذلك لتأثيرها في بنيتها وتوقف دراسة تلك البنية عليها، فهي "دراسة استعمال اللغة، فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللّغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي بعدها كلاما محددا صادرا من متكلّم محدد وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدّد، وقد شمل هذا التّوجّه بدوره عدّة توجّهات (النّظريّات المؤسّسة تداوليّا)، أبرزها: نظرية أفعال الكلام، والملفوظية، والحجاج، ونظريات النّحو الوظيفي... يبدو أن الانتشار الواسع للمفاهيم الوظيفية في أوروبا، انتقل إلى أميركا، فقد بدأ الاهتمام بالتمثيل التداولي تقريبا في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، وسواء كانت الدراسات الوظيفية الأميركية مستقلة عن الدراسات الوظيفية في أوروبا، أو متأثرة كما نرجح بما جرى في أوروبا، بانتقال "جاكبسون " أحد أقطاب مدرسة براغ إلى أميركا، وإنشائه لنادي نيويورك اللساني[1]، أو من خلال ماترجم إلى الإنجليزية من أعمال مدرسة براغ، أو ما كتب مباشرة باللغة الإنجليزية من أعمال مدرسة لندن، فإن الأهم من ذلك هو أن الاهتمام بهذا النوع من الدراسات ظهر في عز ظهور النظرية التوليدية التحويلية، وصاحب نماذجها المختلفة، فبعد النجاح الكبير الذي حققته نظرية تشومسكي على البنيوية وحليفتها السلوكية، بدأ الصراع قويا وعميقا في البداية بصفة عامة بين النموذج التوليدي التحويلي وبين الاتجاه الوظيفي، أو بعبارة أدق بين نموذجين أو اتجاهين نحويين مختلفين تماما من حيث مبدؤهما العام؛ إذ يقوم النموذج التوليدي التحويلي على مبدأ استقلالية التركيب، ليس عن الوظيفة فحسب، بل عن أي دلالة أو تداول،وعليه يكون التفسير غير النحوي، كالظروف والملابسات الخارجية ومواقف الكلام وغيرها...قليل الأهمية؛ لأن الظاهرة اللغوية تنضبط من حيث المبدأ بشروط نحوية خالصة، قابلة للتشكيل على نحو محكم، يتجسد بدقة في القواعد التحويلية، في حين يرى الاتجاه الوظيفي أن الظواهر اللغوية على اختلاف مستوياتها، تحكمه في الحقيقة من حيث المبدأ عوامل غير نحوية؛ أي أن جل الظواهر اللغوية، ليست إلا انعكاسا للوظيفة التبليغية، وعليه فإن التحويلات والشروط المرتبطة بها لا أهمية لها.

[1]- **مومن أحمد**، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر، 2002، ص 146

وقد حاول في بداية السبعينيات بعض اللغويين أمثال "سغال" و"دحل " و"كونترس" التخفيف من حدة ذلك الصراع، بالتوفيق بين مبادئ نظرية الوجهة الوظيفية البراغية ومبادئ النظرية التوليدية التحويلية، غير أن هذا الصراع حسم لصالح الوظيفيين، منذ أواسط السبعينيات معثورة التداوليات التي سبق الحديث عنها، خاصة بعد الانتقادات التي وجهت لتشومسكي من داخل النظرية التوليدية نفسها، سواء من حيث إدخال أصحاب الدلالة التوليدية المكون التداولي، ضمن البنية العميقة كمكون أساسي، أو من حيث التخفف ما أمكن من ثقل القواعد التحويلية وتعقيداتها، الأمر الذي جعل شومسكي نفسه، يعترف في نهاية السبعينيات بأن قدرة المتكلم /السامع قدرتان: قدرة نحوية وقدرة تداولية[1]، لكنه ومن معه من أصحاب الدلالة التأويلية، اعتبروا المكون التداولي مكونا غير أساسي، حيث جعلوه مكونا تأويليا ومثلو البعض وظائفه في البنية السطحية.

ومهما يكن من أمر فإن الذي يهمنا هو أن المكون التداولي قد دخل نماذج النظرية التوليدية التحويلية، حيث أصبحت أجهزتها الواصفة، تمثل للوظائف التداولية، وإن برؤيتين مختلفتين كما سبق الحديث عنه، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن النظريات النحوية الوظيفية منذ أواخر السبعينيات، تميزت بوجود نوعين من النظريات أحدها يشتغل داخل الإطار التوليدي التحويلي، والآخر خارجه، ويمثل الاتجاه الأول نموذجي "البراكمنتاكس" والتركيبيات الوظيفية، ويمثل الاتجاه الثاني نموذجي التركيب الوظيفي والنحو الوظيفي، والجامع لهذه النظريات الأربعة أنها تتوفر فيها الشروط التي سبق الحديث عنها، في التفريق بين النحو الوظيفي وغير الوظيفي.

1- *أهم النظريات الوظيفية وسبل المفاضلة بينها:*

إن الناظر في مختلف النظريات اللسانية التي تمخضت عن مختلف التوجهات اللسانية يجد العديد من النظريات التي يمكن القول عنها إنها نظريات وظيفية، ذلك أنه يمكن أن تطبق عليها المعيار الذي يميز الوظيفي منها من غير الوظيفي، إذ إن هذه النظريات تنطلق من أن الوظيفة الأساس للغة هو التواصل، وتدرج مستوى لدراسة الجوانب التداولية، من أهم هذه النظريات:

من أولى النظريات الوظيفية نظرية الوجهة الوظيفية للجملة المنبثقة عن مدرسة براغ، ونظرية النحو النسقي المنبثقة عن مدرسة لندن، وهاتان النظريتان تندرجان ضمن مرحلة الداليات.

[1] _ المتوكل أحمد، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري، منشورات عكاظ ، الرباط المغرب ، 1989، ص 30

في حين نجد أن نظرية "البراقمانتاكس"، ونظرية "التركيبات الوظيفية"، ونظرية "التركيب الوظيفي" تندرج ضمن مرحلة الداليات والتداوليات، إذ إن معظم أنصار هذه النظريات متأثرون بالنظرية التوليدية التحويلية ومتجاوزون لها بإضافة العنصر التداولي.

نظرية النحو الوظيفي:

ترجع أصول نظرية النحو الوظيفي إلى البلدان المنخفضة، وبالذات إلى مدينة أمستردام الهلندية، مع مؤسسها الأول سيمون ديك[1]، من خلال أبحاثه المتعددة التي رسم بها الإطار النظري والمنهجي العام للنظرية لأتباعه السائرين على نهجه، الذين أجروا دراسات لغوية متنوعة، تجاوزت عقدين من الزمن، مست مجال الدلالة والتداول والمعجم والتركيب في لغات مختلفة، تنتمي إلى فصائل متباينة نمطيا، كاللغة الهولندية والإنجليزية والفرنسية والعربية ..تمكنت من خلالها أن تؤسس لنفسها مكانة علمية متميزة بين النظريات اللسانية المعاصرة بصفة عامة، والنظريات النحوية بصفة خاصة،حيث أصبحت الوريث الشرعي، للنظريات النحوية الوظيفية قبلها، وتطمح منذ الثمانينيات،أن تكون بديلا للنظرية التوليدية التحويلية بكل نماذجها.

وفي هذا السياق لا يخفى في العالم العربي بصفة عامة، وفي المغرب العربي بصفة خاصة، البحوث القيمة التي أجراها الدكتور أحمد المتوكل، على النحو العربي في إطار هذه النظرية،خلال مدة تربو على عقدين من الزمن، تمكن خلالها، بفضل رسوخ قدمه في التراث اللغوي العربي، وحسن استيعابه للنظريات اللغوية الحديثة، من إغناء الدراسات النحوية العربية، بمفاهيم ومصطلحات حديثة، شكلت نظرية علمية متماسكة، وهي مرشحة أكثر من غيرها لأن تكون بديلا معاصرا للنظرية النحوية القديمة، بفضل كفاياتها التفسيرية والنفسية والنمطية والتطبيقية.. وبفضل بنية نحوها أو جهازها الواصف الذي يتميز بالدقة والمرونة،كما سيتضح في مكانه المناسب من هذا البحث .

ويمكن ـ انطلاقا من الجهاز الواصف لهذه النظرية ـ أن نميز فيها بين مرحلتين كبيرتين هما: نموذج الجملة الذي ظهر للوجود سنة 1978 من خلال كتاب سمون ديك الموسوم بالنحو الوظيفي تبعته أبحاث ومؤلفات أخرى، صبت كلها في إطار نحو الجملة إلى نهاية سنة 1988،ونموذج النص، الذي بدأ سنة 1989 بكتاب (ديك) المعنون بنظرية النحو الوظيفي رسم فيه المؤلف معالم نموذج نحو جديد،

1_ سمون ديك باحث هلندي، ولد في هلندا سنة 1940، درس في البداية اللسانيات اللاتينية في كلية الآداب بجامعة امستردام التي شغل فيها منصب عميد، ثم النحو الوظيفي الذي يعد أول مؤسس لنظريته التي حملت هذا الاسم في كتابه الأول سنة 1978 ثم أصبحت معروفة باسم نظرية النحو الوظيفي منذ سنة 1988 إلى اليوم،وقد توفي سنة 1995.

أتبعه مع فريق من الباحثين، بدراسات وأبحاث لا تزال إلى اليوم، تدقق مفاهيم هذا النموذج وتوسعه، في إطار جديد تجاوز نطاق نحو الجملة إلى نحو النص.

وفي نطاق هذا المنحى الجديد الخاص بنحو النص،أصبح أصحاب هذه النظرية يميزون بين فترة النحو الوظيفي الممتدة من بداية ظهور مؤلف ديك السابق سنة 1989 إلى سنة 1997وهي الفترة المتميزة بظهور النحو الوظيفي القالبي الطبقي، تلتها مرحلة جديدة تبدأ بالتعديل الذي أجراه ديك على النظرية سنة 1997 وهي الفترة التي تميزت بالدعوة إلى نحو وظيفي موحد، يشمل توحيد الإواليات لوصف وتفسير أقسام الخطاب في مختلف اللغات المتباينة نمطيا من جهة، ويمتد إلى وصف وتفسير الأنظمة التبليغية غير اللغوية، كالرسم والموسيقى والسينما...من جهة أخرى.

مبادئ النحو الوظيفي وأسسه:

في هذه الأسس، التي سنأتي على ذكرها، زيادة بيان وتدقيق للفيصل الذي يفصل النّظريّات الوظيفيّة عن غير الوظيفيّة، كما أنه يسعفنا على معرفة أدق بالأطر العامّة لأي دراسة تبتغي المقاربة الوظيفيّة هدفا لها " بقطع النظر عن الإطار الذي يتبناها، قديماً كان أم حديثاً [1]". حيث يورد المتوكّل أن ثمة عدداً " غير قليل من النظريات اللّسانيّة تنعت بالوظيفيّة الفرنسية (مارتيني) والمدرسة النسقية (هاليداي) ومدرسة براغ (دانيش) والتركيبات الوظيفيّة الأمريكية (كونو) ونظرية النحو الوظيفيّ (ديك 1997)، وهناك نظريات أخرى لا تحمل هذه الصفة إنما تأخذ بنفس المبادئ، مثال ذلك: نظرية الأفعال اللغويّة في فلسفة اللغة العادية، وماسمي في حقبة معينة من تاريخ النظريّة التوليديّة التحويلية (الفرضية الإنجازيّة) (لاكوف)، بل إننا نجد في الدرس اللغوي القديم إرهاصات واضحة للوظيفة وإن لم نجد فيها استعمال هذا المصطلح.

يثير هذا الوضع التساؤل الأساسي التالي: متى يحق القول عن نظرية ما إنها نظرية وظيفية وما الذي يمكننا من تقويم النّظريّات الوظيفيّة والمفاضلة بينها؟".

لفصل الوظيفي من غير الوظيفي يقدّم المتوكّل هذه المبادئ العامة، وللمفاضلة بين مختلف النّظريّات الوظيفيّة وتقويمها يقدم مجموعة مجموعة أخرى من المبادئ، تشكل في مجموعها (الأولى والأخيرة) ما يعرف بالنظريّة الوظيفيّة المثلى، وسنبدأ بذكر المبادئ العامة التي يفترض المتوكل أنها تحكم أي توجه وظيفي:

[1] _ المتوكل أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي (الأصول والإمتداد)، دار الأمان، المغرب، ط1، 2006، ص19

*** الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التبليغ (التواصل):**

يعني هذا المبدأ أن بنية اللسان الطبيعي الصورية، ترتبط ارتباط تلازم وتبعية، بهذه الوظيفة الأساسية؛ أي أن النظرية النحوية الوظيفية، تندرج ضمن الأنحاء الوظيفية التي لا تفصل بين بنية اللغوية ككل (البنية الصوتية الصرفية،التركيبية..) والوظائف التبليغية المختلفة التي تؤديها تلك البنى السابقة من جهة، وتعتبرها من جهة أخرى انعكاسا لها؛ أي أن الوظيفة التبليغية (بتجلياتها المختلفة) تسهم في تحديد الخصائص البنيوية لأية لغةمن اللغات الطبيعية، فهي بكلمة مختصرة أداة وبنية[1].

*** تعتبر الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية مفاهيم أولى، لا وظائف مشتقة:**

مفاد هذا المبدأ أن الوظائف السالفة الذكر غير مشتقة من بنيات مركبية معينة، كما هو الحال في بعض نماذج النحو التوليدي التحويلي بصفة عامة، ونماذجه الكلاسيكية بصفة خاصة[2]؛ أي بعبارة أوضح أننا إذا أخذنا الوظيفة بمفهوم العلاقات القائمة بين مكونات الجملة، فإن جميع الأنحاء تستعمل هذا المفهوم، لكن بدرجات متفاوتة من حيث النوع والأهمية، فمن الأنحاء ما يكتفي بنوع واحد من العلاقات أو الوظائف، ويقصرها على العلاقات التركيبية (الوظائف التركيبية أو النحوية:كالفاعل والمفعول ...)،كالنحو العربي القديم، والنحو التوليدي التحويلي ممثلا في نموذجه الأول (نموذج البنى التركيبية)، ومن الأنحاء ما يقصر العلاقات أو الوظائف على نوعين اثنين: العلاقات التركيبية والعلاقات الدلالية (أو الوظائف الدلالية:كالمنفذ والمتقبل...)،كنموذجي

"النظرية المعيار الموسعة " و " الربط العاملي " في النظرية التوليدية التحويلية.

وغني عن البيان في هذا الصدد،أن الأنحاء السالفة الذكر لاتعنينا، لأنها غير وظيفية، وإنما يعنينا نوع ثالث من الأنحاء، يجعل العلاقات أو الوظائف ثلاثا: علاقات دلالية، وعلاقات تركيبية، وعلاقات تداولية (أو وظائف تداولية كالمحور والبؤرة...)، وهنا تأتي أهمية المبدأ السالف الذكر من حيث إنه يعطي أهمية لهذه الوظائف (الدلالية التركيبية التداولية)، بحيث يشترط أن تكون مفاهيم أولية؛ أي علاقات أولى أصلية، يمثل لها في البنية التحتية (البنية العميقة بمفهوم النحو التوليدي)، انطلاقا من المعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية التي تنتظمها تلك البنية التحتية وليس العكس، كما يتم في بعض نماذج نظريات النحو التوليدي التحويلي التي تجعل الوظائف السالفة الذكر بما فيها الوظائف التركيبية مشتقة من بنية مركبية

[1] _ المتوكل أحمد، الوظيفة والبنية:مقاربة وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية،منشورات عكاظ ،الرباط ، 1993،ص 83

[2] _ المتوكل أحمد، اللسانيات الوظيفية، مرجع سابق، ص 46

شجرية؛ حيث يعرف الفاعل مثلا بأنه المركب الاسمي الذي تعلوه مباشرة المقولة ج (الجملة)، ويعرف المفعول على أنه المركب الاسمي الذي تعلوه مباشرة المقولة م ف (المركب الفعلي).

*** تحقيق الكفاية التداولية:**

تندرج نظرية النحو الوظيفي في زمرة الأنحاء المؤسسة تداوليا، فهي تتماشى مع التطور الذي عرفته الدراسات اللغوية الحديثة في مرحلة التداوليات الأخيرة ؛حيث انتقل الاهتمام من اللسانيات التي تركز على اللغة أو اللسان، إلى لسانيات الكلام أو التأدية المرتبطة بالمرسل والمتلقي والعلاقات التي تربطهما ضمن عملية التبليغ التي أفادت في الآونة الأخيرة من نظرية الاتصال والإخبار ولسانيات النص أو الخطاب... وبما أن موضوع نظرية النحو الوظيفي هو وصف الملكة التبليغية وتفسيرها، إنها أفادت مما أفادت منه عملية التبليغ بصفة عامة، ومن الدراسات التداولية الحديثة بصفة خاصة؛ إذ أدرجت في وصفها مفاهيم كثيرة، من نظرية الأفعال اللغوية والقوة الانجازية الحرفية والمستلزمة والاقتضاء والإحالة... وعليه فإن الكفاية التداولية لنظرية النحو الوظيفي،تتمثل في كون هذه الأخيرة لا تقتصر على القواعد والشروط التي تضمن سلامة بناء الجمل أو النصوص فحسب، بل تعنى بالقدر نفسه برصد القواعد والشروط اللازمة لجعل تلك الجمل (أو الأقوال) أو النصوص (أو الخطابات) مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التبليغي الذي تكون مسرحا له.

*** تحقيق الكفاية النفسية:**

تعتمد نظرية النحو الوظيفي على أبحاث علم النفس بصفة عامة وعلم النفس المعرفي وعلم اللغة النفسي بصفة خاصة، إن في مجال اكتساب اللغة وتعلمها بصفة عامة، أو في مجال الإدراك وآليات فهم اللغة وإنتاجها بصفة خاصة.

في المجال الأول تفيد نظرية النحو الوظيفي من مستجدات النظريات المعرفية، وأهمها حاليا نظرية جهاز اكتساب اللغة الفطري لشومسكي ونظرية بياجي البنائية[1]ومفادهما أن عملية اكتساب الطفل للغة قائم على التفاعل القائم بين عامل الفطرة وعامل المحيط الاجتماعي الذي ينمو فيه الطفل،إلا أن هناك خلافا حادا بينهما حول تغليب العامل الأول أو العامل الثاني، وتميل نظرية النحو الوظيفي إلى النزعة الثانية على أساس أن اكتساب الطفل للغة يتم بتفاعل الطفل مع المعطيات المتوافرة مع محيطه اللغوي، فيكتسب بعد نموه الملكة التبليغية التي هي في حقيقتها مجموعة من الملكات اللغوية وغير اللغوية، غير أن

[1]_فليو عبد الكريم وعبد الكريم غريب ، التعلم والاكتساب ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001، ص44- 55

ذلك لا يعني إبعاد العامل الفطري كلية، الذي بدونه يتعسر تفسير السرعة التي يتم بها اكتساب الطفل للغة[1]لكن بمنظور وظيفي غير توليدي؛ بمعنى أن جهاز الاكتساب اللغوي التي يولد الطفل مزودابه لا يقتصر على القدرة النحوية فقط، وإنما يزاوج بين النسق النحوي ونسق القواعد والأعراف المتحكمة في الاستعمال المناسب للغة في مواقف اجتماعية معينة.

وفي مجال الفهم والإدراك تتابع نظرية النحو الوظيفي عن كثب التطورات التي حدثت في هذا المجال، لتتطابق مع نماذجها، سواء تعلق الأمر ببحوث نماذج الإنتاج أو نماذج الفهم والإدراك لدى الإنسان، أو بالبحوث التجريبية والمنجزات التطبيقية لعلم النفس المعرفي في مجال الذكاء الاصطناعي،الذي بدأ يتطور بسرعة كبيرة في الآونة الأخيرة، في النشاط اللغوي للعقول الإلكترونية.

*** تحقيق الكفاية النمطية:**

يتجسد مبدأ الكفاية النمطية في جانبين:

يتمثل الجانب الأول .كما يتفق عليه كل الوظيفيين المنتمين إلى نموذج نظرية النحو الوظيفي . في أن هذا الأخير، يطمح أو هو بعبارة أدق في سعي دؤوب إلى أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، ذات البنى اللغوية المتباينة، فيرصد مايؤالف بين هذه اللغات المتباينة نمطيا وما يخالف بينها، وقد تجسد هذا المطمح فعلا في الاهتمام بالقواسم المشتركة بين اللغات الطبيعية، بالتركيز على كليات وظيفية (دلالية وتداولية)، أكثر منها صورية تحتمل الاختلاف والتباين؛ فالكليات الصورية المتباينة هي مجموعة محصورة من الخصائص، كالخصائص الصوتية المميزة لكل لغة، والمقولات الصرفية كمقولات الاسم والفعل والصفة...والوظائف التركيبية،كوظيفتي الفاعل والمفعول التي يختلف ترتيبهما من فصيلة لغوية إلى أخرى، فهذه الخصائص إن كانت من جانب تميز أي لغة طبيعية عن أي لغة أخرى،سواء كانت من بنية نمطية واحدة (فاعل، فعل، مفعول)كاللغة الإنجليزية والفرنسية، أو من بنية نمطية مختلفة (فعل، فاعل، مفعول) كاللغة العربية، أو (فاعل، مفعول، فعل) كاللغة الفارسية مثلا[2]، فهي من جانب آخر، تكتسي طابع الكلية من جهة أنها موجودة في كل اللغات الطبيعية، غير أن مبدأ الكفاية النمطية عند الوظيفيين، لا يتخذ من هذا الطابع العام أو الكلي أساسا، وإنما يؤسس على الخصائص المشتركة بين اللغات مهما تباينت بناها، انطلاقا من خصائصها الدلالية والتداولية؛ لأنها متناظرة ومتماثلة إلى حد التطابق في الغالب، لذا توسع نموذج نظرية النحو الوظيفيفي الوظائف الدلالية والتداولية على حساب الوظائف

[1] _ المتوكل أحمد، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003، ص، 64

2_ عبد القادر الفاسي الفهري ، ملاحظات حول البحث في التركيب العربي ، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1991 ص271

التركيبة الصورية،حيث قلصت هذه الأخيرة إلى وظيفتين فقط، وبذلك ضيقت شقة الاختلاف بين اللغات، وفسح المجال واسعا لاتلافها واشتراكها في مفاهيم دلالية واحدة، كمفهوم المنفذ " الفاعل الحقيقي " الزمان والمكان والعلة...، ومفاهيم تداولية واحدة مرتبطة بأوضاع مقامية تخاطبية، لا تخلو منها لغة من اللغات، كالمحور أو موضوع الحديث المعروف مسبقا بين المتكلم والسامع، والبؤرة أو المعلومة الجديدة أو البارزة...التي يتبادلانها، ولا يقتصر الأمر في هذا المجال على رصد المفاهيم أو الوظائف المشتركة بين اللغات المتباينة نمطيا، بل يتعداه إلى استخلاص تعميمات كلية تنطبق على أغلب اللغات المتباينة نمطيا؛ كالتوزيع المتماثل للوظائف الدلالية والتداولية على البنية النموذجية العامة، وما يتفرع عنها من تراكيب كلية بين اللغات؛ كالتراكيب المصدر فيها المكون المبأر، والتركيب المفصول...

*** الكفاية الديناميكية:**

ونعني بها انفتاح نظرية النحو الوظيفي على مستجدات العلوم بصفة عامة، وبصفة خاصة مستجدات العلوم الإنسانية، فقد أفادت من الرياضيات والمنطق والفلسفة وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وبصفة أخص من النظريات اللسانية الحديثة، كنظرية الأفعال اللغوية والبحوث التداولية والدلالية والصوتية[1]... وعليه فإن نظرية النحو الوظيفي، تعد من النظريات العريقة الأصيلة، ليس بفضل إفادتها من علوم عصرها فحسب، ولكن بفضل تكيفها الدائم مع المستجدات، ومرونتها في استيعاب الجديد وتمثله وتجاوزه، وقدرتها على إدخال التحسينات وتطوير بنيتها النحوية العامة؛ يظهر ذلك جليا في تطوير جهازها الواصف من نحو جملة إلى نحو نص، مع تجاوز نحو النص إلى نحو كلي معمم عل النص والجملة والمركب والكلمة، كما يظهر بصورة واضحة وصريحة في إفادتها الواعية من التراكمات المعرفية للنظريات النحوية الوظيفية السابقة لها، بانفتاحها على إيجابياتها وحسن تخلصها من بعض الالتباسات والمزالق التي وقعت فيها، دليلنا على ذلك يكمن في تتبعنا المجال التاريخي والجغرافي لتلك النظريات، فعلى امتداد حقبة زمنية تعدت سبعين عاما، وعلى امتداد رقعة جغرافية فسيحة مست تقريبا كل أوروبا، وامتدت إلى الولايات المتحدة الأميركية، ظهرت مفاهيم وظيفية مختلفة، طرحت بحدة إشكالية مزدوجة على المستوى الاصطلاحي، تمثلت في مجموعة من المصطلحات المترادفة من جهة، وفي تداخل بعضها الآخر تداخلا يصل إلى درجة التناقض من جهة أخرى.

[1]– المصدر السابق، ص272

*** الكفاية المراسية العامة:**

يعني هذا المبدأ، مدى واقعية نموذج نظرية النحو الوظيفي ودرجتها التطبيقية ،بالنظر إلى ملموسيتها في وصف وتفسير بنية اللسان العامة، فصيحة كانت أم عامية، على مستوى آني أم تطوري من جهة، وعلى قدرتها النفعية بالنظر إلى إمكانية إسهامها في حل مشكلات علوم أخرى من جهة أخر،كالتعليمية والترجمة والنقد الأدبي وأمرض الكلام...

ومما يحسن التنبيه إليه، أن الملموسية في سياق الكفاية المراسية العامة أوسع واشمل من مفهومها في سياق الكفاية النمطية التي سبق ذكره، لأنها هنا ترتبط بمتكلم ومخاطب حقيقيين، إن على مستوى لغوي فصيح أو عامي، فني أو عادي، تزامني أو تاريخي، أي أن الكفاية المراسية بتعبير أدق، يمكن أن تمد العون إلى بعض العلوم، وتحقق جملة من الكفايات.

4- المبحث الثالث: اللّسانيّات النّصّية وتحليل الخطاب:

1- تعريفها:

يقصد بلسانيات النص ذلك الاتجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتساقا وانسجاما، ويهتم بكيفية بناء النص وتركيبه. بمعنى أن لسانيات النص تبحث عن الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في بناء النص وتأويله. أضف إلى ذلك أن هذه اللسانيات تتجاوز الجملة إلى دراسة النص والخطاب، بمعرفة البنى التي تساعد على انتقال الملفوظ من الجملة إلى النص أو الخطاب، والانتقال من الشفوي إلى المكتوب النصي.[1] ويعني هذا أن لسانيات النص هي التي تدرس النص، وتحلل الخطاب، ولاتهتم بالجملة المنعزلة، بل تهتم بالنص باعتباره مجموعة من الجمل المترابطة ظاهريا وضمنيا. ومن ثم، فقد انطلقت من لسانيات الملفوظ مع "بنفنست".

ومن هنا، فلسانيات النص هوفرع من فروع علم اللسانيات، ويتعامل مع النص باعتباره نظاما للتواصل والإبلاغ السياقي.

[1] _ عبد الفتاح كليطو ، الأدب والغرابة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص10

ومن ثم، تهدف هذه اللسانيات إلى وصف النصوص والخطابات نحويا ولسانيا، في ضوء مستوياتها الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والدلالية، والتداولية، والبلاغية...كما توصفالجمل حسب المدارس اللسانية؛ لأن النص جملة كبرى. وما ينطبق على الجملة الصغرىينطبق أيضا على الجملة الكبرى.

وعليه، فلسانيات النص هي التي تدرس النص على أساس أنه مجموعة أوفضاء ممتد وواسع من الجمل والفقرات والمقاطع والمتواليات المترابطة شكلا ودلالة ووظيفة، ضمن سياق تداولي تواصلي معين. ومن ثم، يحمل مقصديات مباشرة وغير مباشرة، ويهدف إلى الإبلاغ أو الإمتاع أو الإفادة أو التأثير أو الإقناع أو الاقتناع أو الحجاج...

وتدرس لسانيات النص ما يجعل النص متسقا ومنسجما ومترابطا، بالتركيز على الروابط التركيبية، والدلالية، والسياقية، سواء أكانت صريحة أم ضمنية. ولا تكتفي لسانيات النص بما هو مكتوب فقط، بل تدرس حتى النصوص الشفوية والملفوظات النصية القولية. وتبحث عن آليات بناء النص، ومختلف الوظائف التي يؤديها ضمن سياق تداولي معين.

من المعلوم أن النص عبارة عن مجموعة من الكلمات والجمل، التي تشكل في البداية ما يسمى عند أندريه مارتينيه بالتمفصل أو التلفظ المزدوج. ومن ثم، يتكون النص عبر التحام الجمل واتساقها نسيجا وانتظاما، وترابطها عضويا وموضوعيا. ومن ثم، يلاحظ أنه عبر امتداد مساحة النص يتشكل ما يسمى بالفقرات، والمقاطع والمتواليات التي تؤلف بدورها في الأخير ما يسمى بالنص، ووظيفته الأساسية والبارزة التواصل والإبلاغ والتداول.

هذا، ويتميز النص عن اللانص- حسب عبد الفتاح كليطو- بمجموعة من الضوابط التي تتمثل في كون النص يحمل ثقافة، ويعتمد على النظام، وهو قابل للتدوين والتعليم، وينسب إلى كاتب حجة، ويحتاج إلى تفسير وتأويل[1].

وعليه، لقد انصب اهتمام لسانيات النص على ثنائية الجملة / النص التي اهتمت بها اللسانيات البنيوية التوزيعية والتوليدية التحويلية سابقا. ويرى "بلومفليد" أن الوحدة اللسانية الكبرى هي الجملة، وأن اللسانيات مقتصرة على دراسة الجمل وتوزيعها على تجاوز الجملة لدراسة ترابط الجمل واتساقها وانسجامها، وتحديد العلاقات الموجودة بين الوحدات الجملية داخل النص، وكذلك الاهتمام بتعريف

[1] _ المصدر السابق، ص 12

النص، واستخلاص مكوناته ومرتكزاته التركيبية والدلالية والتداولية. هذا النمط من الدراسة كانت تعده اللسانيات الكلاسيكية اهتماما بالقضايا الهامشية.

ويعرف "كوليشرايبال"لسانيات النص بقوله: " نقصد بنحو النص مجموعة الأعمال اللسانية التي تملك، كقاسم مشترك، خاصية تجعلها تجسد موضوع دراستها في المتواليات الخطابية ذات الأبعاد التي تتجاوز حدود الجملة..."[1].

إذاً، فلسانيات النص هي التي تدرس المتواليات النصية، وتجعل وحدتها الكبرى في النص لافي الجملة كما كان يفعل البنيويون اللسانيون، وكذا التوليديون التحويليون.

ولقد انكبت لسانيات النص، تطبيقيا، على مجموعة من القضايا المهمة والشائكة مثل:الضمائر العائدة، والتماسك النصي، والاتساق، والانسجام إلخ... وهذه القضايا التي ذكرناها، لا تغطي الإشكاليات الخطابية برمتها؛ وذلك لأن قطاع تحليلا لخطاب يحاول، في هذا الصدد، تجاوز إطار الجملة: حيث يدرس عدة جوانب للعلاقات المتنوعة بين الأزمنة الموجودة داخل الخطاب، كما أنه يتعرض للنبر في الجملة، وخاصة قضية " العروضية / التلحينية "، ثم العلاقات المتبادلة بين المسند والمسند إليه، والاقتضاء، والإضمار، والنفي، والغموض، والبرهنة، وهي قضايا تفرض علينا الاهتمام ببنيات الترابط الجملي (القول).

وبصفة عامة، فإن نحو النص/الخطاب يطمح إلى إنجاز مجموعة من قواعد التماسك التي ستمنح للعلاقات بين الضمائر العائدة خصوصية متميزة، أو لأنواع الجمل المترابطة الأخرى.

إن " قواعد التماسك النصي" تعمل كمؤشرات وقرائن الشروط والظروف الخطابية، والتي يجب أن تتوفر عليها الجمل السابقة واللاحقة وذلك لكي يكون نص معين متماسكا.

وهكذا، يهدف تحليل الخطاب إلى تحديد الوحدات النصية الكبرى، و كيفية التساؤل عن بروزها واتساقها وانسجامها وتماسكها، ومعرفة كيف تبنى وتصاغ من أجل تأسيس نظرية للأنواع الخطابية. وتعنى كذلك بالبرهنة الحجاجية، والسردية النصية.

ومن هنا، تعتبر لسانيات النص أهم من المقاربات التي استهدفت تحليل النص أوالخطاب إلى جانب السيميائيات، والشعرية ، والسوسيولوجيا، والتداوليات...

فبعد التحليل البنيوي للجملة أو الملفوظ اللغوي، سواء على مستوى التوزيع أم الوظيفة أم التوليد

1_ غزالة عبد الجليل وأنوال الثقافي، نحو النص بين النظرية والتطبيقي، المغرب،1986، العدد 26، ص 11

التحويلي، انتقلت اللسانيات إلى تحليل النص أو الخطاب، فوسعت مجال موضوعها، وبلورت مصطلحاتها الإجرائية، وبحثت عن مفاهيم جديدة، ضمن تصورات أكثر نجاعة، صالحة للإحاطة بالنصوص.

ولقد اهتمت لسانيات النص كذلك بمدى انسجام النصوص واتساقها وترابطها، سواء على مستوى التركيب أم الدلالة أم الوظيفة التداولية. كما بحثت هذه اللسانيات في البنيات العميقة المولدة للنصوص اللامتناهية العدد، بالتركيز على عمليات التوليد والتحويل مثل:النقصان، والزيادة، والحذف، والاستبدال...

2- نشأة لسانيات النص:

لقد ظهرت المحاولات الأولى للسانيات النص منذ صدور كتاب (**الحكايات الروسية العجيبة**)"لفلاديمير بروب" سنة 1928، حيث قدم أول دراسة لسانية تحليلية لمقاطع الحكاية بغية تحديد الوظائف السردية، وتبيان عواملها وشخوصها النحوية. بمعنى أنه اهتم بالتنظيم المقطعي. فالجديد في كتابه – إذاً- هو تقسيم كل حكاية إلى مقاطع ومتواليات سردية. ولم تكن المقارنة بين هذه الحكايات الفانطاستيكية الروسية قائمة على المعطيات الخارجية، بل كانت تستند إلى وحداتها البنيوية الداخلية.

وقد حدد "جان ميشيل آدم" خمسة أنواع من المقاطع أو المتواليات النصية التي توجد في خطاب معين هي: المتوالية السردية، والمتوالية الوصفية، والمتوالية الحجاجية، والمتوالية التفسيرية، والمتوالية الحوارية.

ويتكون كل مقطع من ملفوظات تركيبية متسقة ومنسجمة ومتتابعة لها وظيفة دلالية ضمن التنظيم النصي. وتترابط هذه المقاطع والمتواليات بشكل متسلسل ومتدرج ومتسق. بل يمكن الحديث عن مقاطع مهيمنة ومقاطع خاضعة، أومقاطع مدمجة (بكسر الميم) ومقاطع مدمجة (بفتح الميم).

3- أهداف لسانيات النص:

قد ارتبطت لسانيات النص بما هو ديداكتيكي وبيداغوجي، واستعملت في مجال التعليم. لذا، فهي تؤدي وظائف تربوية بامتياز.أي: أصبحت لسانيات النص منهجية ديداكتيكية[1]. ومن ثم، فقد وظفت لسانيات النص من أجل تحليل النصوص والخطابات على مستويات عدة:

صوتية، وصرفية، وتركيبية، ومعجمية، ودلالية، وتداولية، ابتداء من أصغر وحدة في النص هي الجملة إلى آخر جملة في النص عبر عمليات التتابع والترابط والتتالي. ومن ثم، فقد أصبح النص موضوعا للأسلوبية،

[1] _ غزالة عبد الجليل، نحو النص بين النظرية والتطبيق، المرجع السابق، ص 12

وموضوعا للتلفظ، وموضوعا للنحو. وكانت الدراسة الأسلوبية والبلاغية والأدبية أقدم دراسة للنص من أجل رصد الصور الأدبية وصورالأسلوب.

يمكن القول إن للسانيات النص مجموعة من الأهداف الأساسية؛ مثل: معرفة كيفية بناء النص وإنتاجه، مهما كانت طبيعته الخطابية أو التجنيسية. ثم، استجلاء مختلف الأدوات والآليات والمفاهيم اللسانية التي تساعدنا على فهم النص ووصفه وتأويله، باستكشاف مبادىء الاتساق اللغوية الظاهرة، والتعرف إلى مختلف العمليات التي يستعين بها مفهوم الانسجام؛ والتثبت مما يجعل النص نصا أوخطابا؛ ثم التمكن من مختلف الآليات اللسانية في عملية تصنيف النصوص والخطابات وتجنيسها وتنميطها وتنويعها، وتبيان مكوناتها وتحديد الثابتة، وسماتها المتغيرة[1].

علاوة على الوظيفة الديداكتيكية، إذ تساعدنا لسانيات النص على تحليل النصوص وتفكيكها وتركيبها وتشريحها بنيويا أو توليديا أو تداوليا. ومن ثم، يتعرف التلميذ أو الطالب إلى مختلف التقنيات اللسانية المستعملة في قراءة النص وفهمه وتفسيره وتأويله، ومعرفة مظاهر اتساقه وانسجامه، وكيفية انبناء النص، وبماذا يتميز النص الأدبي عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى؛ وبما يمتاز أيضا النص الحجاجي عن النص الوصفي، والنص الإخباري، والنص الإعلامي، والنص الإشهاري...

أضف إلى ذلك أن لسانيات النص تسعف الباحث في معرفة خليات تماسك النص موضوعيا وعضويا، وكيف تتحقق القراءة المتسقة والمنسجمة، وكيف تتحدد حوارية النص وأبعاده التناصية، وكيف يخلق تشاكل النص، وما الوظائف التي يؤديها النص؟ هل يسعهذا النص إلى تحقيق الوظيفة التواصلية أو الوظيفة التعبيرية أو الوظيفة التأثيرية أو الوظيفة المرجعية...؟

ومن ثم، يرتبط هذا كله بمعرفة السياق النصي، والمقصديات المباشرة وغير المباشرة، والتركيز على وظيفة الإقناع والتبليغ والتأثير والاقتناع.

وقد حدد "لانغ" الأسباب والمبررات التي تدفع إلى الاهتمام بلسانيات النص، وتحديد مفهوم النص. وقد حصرها في مبررات ستة هي:

1- رفع الغموض عن الجمل وتبسيطها.

2- إبراز الاقتضاءات والعلاقات المضمرة، زيادة على ما يبرزه ظاهر الجمل المكونة للنص.

3- تفسير النص بواسطة الجمل والمقاطع والمتواليات اللسانية.

[1]- محمد مفتاح ، النقد بني المثالية والدينامية ، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ص29

4- تحقيق شروط الاتساق والانسجام بين الجمل المضمرة والبارزة لنص متماسك، وبين جمل معزولة عنه.

5- إدراج تأويلات دلالية لبعض الجمل الخاصة، ضمن "بنيات دلالية كبرى".

6- تحقيق علاقات التعادل بين عدة مقاطع لغوية ذات طول متغير، حتى ترقى لفهم التماسك النصي برمته ضمن إطار شامل وعام.

وأخيرا، يمكن القول: "إن المقاربات اللسانية مفيدة جدا، في ضبط التحام النص واتساقه إذا كان علميا أو فلسفيا أو سياسيا أو شعريا قديما... على أنها تعجز عن إثبات الالتحام والاتساق في كثير من النصوص الشعرية الحديثة والمعاصرة التي تثور على الالتحام والاتساق، ولذا، فلا مفر من الالتجاء إلى السيميائيات الأوربية وإلى دلائلية " برس" لسد الثغرات، بعد أن تغربل إبستمولوجيا وتطعم بمفاهيم جديدة ظاهراتية ودينامية"[1].

وعليه فللسانيات النص وظائف عدة، يمكن حصرها في الوظائف التربوية والتعليمية، والوظائف النقدية والأدبية، والوظائف النصية، والوظائف التحليلية، والوظائف المؤسساتية في تجنيس النصوص وتنميطها وتصنيفها، والوظائف اللسانية بالانتقال من لسانيات الجملة ولسانيات النص، والوظائف الإبداعية والتخييلية والإنشائية، والوظائف التواصلية والتداولية، والوظائف الحوارية...

ويمكن القول كذلك أنه يمكن دراسة مجموعة من الوقائع اللسانية ضمن منظور نصي، وخطابي ثم تحليل النصوص في ضوء لسانيات النص، بتقطيعها إلى مقاطع ومتواليات سردية أو وصفية أو حجاجية أو حوارية أو تفسيرية أو إخبارية، ثم تبيان الوحدات النصية الكبرى والصغرى، واستجلاء مختلف الروابط التركيبية والدلالية والمعجمية التي تتحكم في بناء النص، وإبراز مختلف العمليات المتوارية التي تتحكم في انسجام النص وتماسكه وتراطبه عضويا وموضوعيا.

4- منهجية لسانيات النص:

تستلزم لسانيات النص منهجية بنيوية وصفية وتفسيرية وتأويلية، تقوم على التفكيك والتركيب. بمعنى أن الباحث لابد أن يشرح النص ويفككه إلى مقاطع وفقرات ومتواليات ضمن الوحدة الكلية للنص. أي: بالتعامل مع النص المصغر والنص المكبر.وبعد ذلك، تأتي عملية تقطيع المركبات النصية أو الخطابية إلى ملفوظات ومقاطع وفقرات ومتواليات، وفق معايير التقطيع النصي التي أشارت إليها السيميوطيقا

[1] _ المرجع السابق، ص31

السردية. وبعد ذلك، نحدد تماسك الجمل انطلاقا من الجملة الثانية حتى آخرجملة في النص أوالخطاب، بالبحث عن أدوات الاتساق اللغوية، والبحث عن عمليات الانسجام في علاقتها بالمتلقي؛ ثم رصد الحوارية التناصية، وكل ملامح المعرفة الخلفية الواعية وغير الواعية. ثم فهم بنية النص اللغوية في سياقها التواصلي من جهة، وربطها بالسياق الذهني (له علاقة بالمتلقي) من جهة أخرى. دون أن ننسى ربط النص بالمقصديات المباشرة وغير المباشرة، والبحث عن مختلف الوظائف التواصلية والإبلاغية التي يقوم بها النص؛والتثبت من نصية النص وعما يميزه عن اللانص أو اللاخطاب.

وبعد ذلك، ينتقل الباحث إلى دراسة النصوص والخطابات وفق رؤية تجنيسية وتنميطية، بغية معرفة مميزات كل نص أوخطاب على حدة، وتبيان مكوناته الثابتة، واستخلاص سماته المتغيرة.

وبناء على ما سبق، تدرس لسانيات النص مجموعة من القضايا التي لها علاقة وثيقة ببناء النص، مثل: الربط، والاتساق، والانسجام، والإحالة، والنسيج النصي، والتشاكل، والروابط التركيبية والدلالية والإحالية والزمانية، والوحدة الموضوعية والعضوية، والتناص، والاتصال النصي، والسياق النصي، وتواشج الألفاظ والبنى النحوية، والتركيب الداخلي للنص، والبنية الكلية للنص، والنص الصغير، والنص الكبير، وتجنيس النصوص وتنميطها وتصنيفها (النصوص السردية، والنصوص الوصفية، والنصوص الحجاجية، والنصوص الحوارية والنصوص الإخبارية...) والنص والبؤرة، ووصف بنيات النص وتفسيرها في ضوء المكونات والسمات، وفي ضوء عناصرها الثابتة والمشتركة، وعناصره المتحولة والمتغيرة، وتبيان وظائف النصوص في إطار نظامها التواصلي، بالتركيز على الاتساق، والانسجام، والمقصدية، والإبلاغ، والتناص، والسياق، والمقبولية[1].

ويمكن للسانيات النص أن تقارن النص بالذكاء الحاسوبي لمعرفة طرائق انبناء النص، وتحديد مواطن التشابه بين النص الإنساني والنص الرقمي، واستعارة المفاهيم الحاسوبية لتوظيفها في تحليل النصوص والخطابات فهما وتفسيرا وتأويلا. ومن جهة أخرى، يمكن أن تستعين لسانيات النص مفاهيمها وأدواتها من لسانيات الجملة، كالاستفادة من مفهومي التوليد والتحويل عند نعومشومسكي، والاستعانة بالمكونات المباشرة وغير المباشرة عند التوزيعيين (بلومفيلد وهاريس...) والاستفادة من الاتجاه التداولي الوظيفي كما عند (هاليداي، وفانديك، وحسن رقية، وأحمد المتوكل)؛ والاستفادة كذلك من مبادىء الكولوسيماتيكية عند (لوي هلمسليف)، ومبادىء اللسانيات عند البنيويين الوظفيين

[1]_حمداوي جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، دار الألوكة، المغرب، ط1، 2015، ص61

(جاكبسون، وتروبسكوي، وأندري مارتيني) والوظيفيين السياقيين (فيرث) والاتجاه البنيوي السوسيري (فرديناند دوسوسير...) علاوة على استلهام المفاهيم الأخرى من الاتجاه الحجاجي (دوكرو، أنسكومبر، وبيرلمان، وتيتيكا...) والسيميوطيقا السردية (كريماص، وجوزيف كورتيس، وجاك فونتاني...)

وعليه، فمنهجية لسانيات النص هي منهجية لسانية و نحوية محضة، لكن يمكن لها أن تستعير أدواتها ومفاهيمها الإجرائية، في إطار الانفتاح العلمي، من علوم أخرى، مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، والبيولوجيا، والفيزياء، والكمياء، والطب، والإعلاميات، والسيميوطيقا، والفلسفة، والرياضيات، والمنطق[1]...

وعليه، تهدف لسانيات النص إلى تصنيف المعطيات اللغوية إلى مكونات ومقولات، مثل:الإسم، والفعل، والحرف، والفونيم، والمونيم، والمورفيم إلخ... بالإضافة إلى الاهتمام بالتقطيع والتصنيف من أجل إقامة وصف دقيق للظاهرة اللغوية، بعد ملاحظتها وتوزيعها وتصنيفها. ويمكن الاعتماد منهجيا كذلك على الملاحظة، والوصف، والتفسير...

5- *المبحث الرابع : اللّسانيّات التداولية:*

لقد شهد الدرس اللّساني الحديث تطورات واسعة مست مجال التركيب والدّلالة وتعدّتها إلى التداول، باحثة كل الملابسات التي لها تعلق بالملفوظ من أجل تحقيق فهم جيد له وإدراك لكيفية اشتغال وحداته ومختلف التعالقات التي تحمكها، ونتيجة هذا لم يعد الاتجاهان البنيوي والتوليدي التحويلي الاتجاهين المهيمنيين على ساحة الدراسات اللّسانيّة؛ إذ أتاحت المعرفة المعاصرة نماذج لسانية تحليلية أكملت النقص أو الزوايا التي لم تطرقها الدراسات السابقة، ويعدّ التوجه الوظيفي المؤسس على الأبعاد التداوليّة أبرز هذه النماذج وأدقها وأكملها.

هذه المعرفة التي يمكن مقاربتها أو النظر إليها على أنّها صدمة العقل في وعي الظواهر، وما يستتبعها من تصحيح وإعادة نظر؛ فما إن يستقر العقل على حال حتى يغير وجهة نظره باحثا عن زاوية أخرى، لإدراكه نسبية المعرفة والعقل البشريين.

[1] _ المرجع السابق، ص 62

فبعدما جرّب العقل اللّساني التيار البنيوي والتوليدي في معالجة الظاهرة اللّغوية وعرف قصورهما، إذ لم ينتبها إلى أن اللّغة ليست قوالب مغلقة معزولة وإنّما اللّغة استعمال وتداول وحركة مجتمعيّة وأداة تأثير وتغيير، أراد بعد هذا أن يصحّح جهاز مفاهيمه، وكان من نتيجة هذا أن تولد المنهج الوظيفي التداولي.

1- مفهوم التداولية:

أ)لغة:

يرجع مصطلح التداولية إلى الجذر اللّغوي (دول)، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: الدُولةُ و الدَولةُ : الْعُقْبَة في المال والحرب سواء، وقيل الدُولة بالضم في المال، والدَولة بالفتح في الحرب، أن تدل إحدى الفئتين على الأخرى، يقال : كانت عليهم الدَولة، والجمع الدُوَل والُدولة بالضم في المال، اسم الشيء الذي يتداول، وفي حديث الدعاء: حدَثني حديثا سمعته من رسول االله صلى الله عليه وسلم ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وقولهم: دواليك أي تداولا بعد تداولٍ والدُوَل : النبل المتداول، عنابن الأعربي، أشد يلوُذ بالجود من النبل الدَوَل[1].

وجاء في معجم الوسيط: تداولت الأيدي الشيء أخذته هذه مّرة وهذه مّرة، ويقال تداول الأمر[2].

الدال والواو واللام أصلان : أحدهما يدل على تحول وجاء في مقاييس اللغة: "شيء من مكان إلى مكان، والأخر يدل على ضعف واسترخاء، أما الأول فقال أهل اللّغة: انْدَال القوم، إذ تحّولوا من مكان إلى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم، أي صار من بعضهم إلى بعض، والدَولة والدُولة لغتان، ويقال : بل الدُولة في المال والدَولة فيالحرب..... بذلك من قياس الباب لأنه أمر يداولونه فيتحول من هذا إلى ذلك ومن ذاك إلىهذا، وأما الأصل الأخر فالدّويل من النبت : ما يبس لعامه : قال أبو زيد : دال الثوب يَدُول، إذا بلى،وقد جعله ودهُ يدول: أي يبلى، ومن هذا الباب انْدال بطنه، أي استرخى"[3].

يتضح لنا من خلال هذه التعريفات أن الجذر (دَوَل) يدور حول معاني التناقل والتحّول والتبّدل والتفاعل، فجل المعاجم تعرفه على أساس هذه المعاني السابقة الذكر،وهذه هي حال اللّغة متحولة من متكلم إلى سامع و متناقلة بين الناس ومتداولة بينهم.

1_ ابن منظور ، لسان العرب،دار صادر،بيروت ، لبنان، مجلد 11، ط1 1374هـ،1955 ، ص252-253

2_ مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، ط1، 2004، ص 304

3_ أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، معجم مقايس اللغة، تح : عبد السلام محمد هارون،دار الفكر، دط، 1399هـ،1979 ، ص314،315

ب) اصطلاحا:

من الناحية الاصطلاحية نجد اختلاف بين العلماء في تحديد هذا المفهوم وينعدم وجود تعريف دقيق ومحدد ومتفق عليه من طرف العلماء نظرا لتعدد الحقول المعرفية التي استقت منها التداولية، نذكر بعضها لأنه لا يمكن الإلمام بجميع التعريفات نظرا لتعددها.

فنجد مسعود صحراوي يعرف التداولية بقوله:" هو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللّغوي بمستعمليه، وطرق وكيفية استخدام العلامات اللّغوية بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها " الخطاب " والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب " رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث عن أسباب الفشل في التواصل باللّغات الطبيعية...إلخ"[1].

نلاحظ من خلال هذا التعريف الذي قدمه لنا الباحث مسعود صحراوي، أنه يشير إلى قضية أساسية في التّداولية وهي تعدد وتشعب اتجاهاتها.

وهناك تعريف آخر للساني " ماري دبير"و " فرنسوا ريكاناتي" وهو أنّ " التّداولية هي دراسة استعمال اللّغة في الخطاب، شهادةً في ذلك على مقدرتها الخطابية"[2]، وإذا أردنا أن نحلل هذا القول من أجل الوقوف على المقصود من هذا الحّد فإننا نسجل ما يلي :

- التّداولية علم يهتم بدراسة اللّغة الإنسانية في الاستعمال.
- تسعى التّداولية إلى الكشف عن المقدرة الإنجازية التي تحققها العبارة اللّغوية.
- التّداولية بحث في الدلالات التي تفيد اللّغة في الاستعمال.

2- نشأة التّداولية وتطورها:

يعود الفضل في استحداث مصطلح التّداولية في الثقافة الغربية إلى الفيلسوف الأمريكي " تشارلز ساندرس بيرس" حينما نشر مقالتين في مجلة "ميتافيزقيا"، سنة 1978 و 1979بعنوان "كيف يمكن تثبت الاعتقاد؟ ومنطلق العلم: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ حيثأكد على أن الفكر في طبيعته إبداع لعادات فعلية، ذلك أنه مقرون بقيمتين: متى يتم الفعل؟ وكيف يتم؟ فيكون مقترنا بالإدراك في حالته الأولى وفي الحالة الثانية يؤدي الفعل إلى نتيجة ملموسة، ليصل إلى أن الممارسة والتّطبيق والفعل، هي التيّ تشكل الأساس والقاعدة لمختلف الأفكار.

1_صحراوي مسعود ، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة ، بيروت،لبنان، 2005 ، ط1، دار الطليعة، ص15

[2]_ فرنسواز أرمينكو، المقاربة التّداولية، ترجمة:سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1997، ص8

ويرجع أول استعمال لمصطلح التّداولية إلى الفيلسوف "تشارلز موريس" سنة 1938، حيث قدم لها تعريفا في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات، وذلك في مقال له ركز فيه على مختلف التّخصصات التي تعالج اللغة (التركيب والدلالة والتداولية)، ليصل إلى أن " التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات[1]". وهو تعريف يتجاوز المجال اللساني ليشمل غيره من المجالات غير اللسانية (المجال السيميائي).

تُشكل التداولية درسا جديدا وغزيرا لم يمتلك بعد حدودا واضحة، انبثق من التّفكير الفلسفي في اللّغة **بيدأنّه سرعان ما تجاوزه** ليعمل على صقل أدوات تحليله، وبخاصة التّداولية اللّسانية موضوع حديثنا.

إن اللسانيات التداولية اسم جديد لطريقة قديمة في التفكير بدأت على يد **"سقراط"**، ثم تبعه **"أرسطو"** والرواقيون من بعده، بيد أنها لم تظهر إلى الوجود باعتبارها نظرية للفلسفة إلاّ على يد **"باركلي"، تغذّيها طائفة من العلوم على رأسها: الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع[2].**

فالتّداولية اللّسانية اتجاه جديد في دراسة اللغة يبحث عن **حل** لعديد من المشاكل اللغوية التي اهملتها اللّسانيّات ولم تهتم بها نحو (الفونولوجيا، التركيب، الدلالة) ، ولذلك يعترف كارناب، **أنّ التداولية درس** غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله: "إنّها قاعدة اللّسانيّات"[3]. **كما أنّ اللّسانيات** التّداوليّة تشكل محاولةّ جادة للإجابة عن جملة من الأسئلة تفرض نفسها على الباحث والبحث **العلمي بعامة، وعجزت اللّسانيات عن الإجابة عنها،** متوسلة في سبيل ذلك عديدا من العلوم الإنسانية **والاجتماعية، وهي أسئلة من قبيل: ماذا نصنع حين نتكلّم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ من يتكلم ومع من يتكلم؟** من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى؟ كيف يمكننا قول شيئا آخر غير الذي كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نَركن إلى المعنى العرفي لقصد ما؟.

ومن العلوم التي غذت الدراسات التداولية ما يلي :

أ) الفلسفة التحليلية: **هي مذهب فلسفي** جديد، استطاع رواده أن يتجاوزوا بمنهجهم المستحدث في معالجة القضايا العالقة في الفلسفة ، متجاوزين الفلسفة التقليدية بتحويل بؤرة الاهتمام إلى اللغة في حد ذاتها، فمن هذا المنهج انبثق أهم و أساس الحقل التداولي في الدراسات اللغوية وهو ما يُعرف بـ" **الافعال الكلامية**".

---

[1] _ فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، المرجع السابق،ص12

[2] _بوقرة نعمان، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة ، مرجع سابق، ص163

[3] _الشهيري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1 ،2004 ،ص2

ب)الفلسفة البراغماتية: وهي اتجاه تجريبي عملي يعتمد على الواقع الخارجي ، ويهتم به كما يتبدى في خبراتنا الحسية، فالفيلسوف البراغماتي يتجه إلى دراسة ما هو متعين وحقيقي، لا يفرض الكشف عن **حقائق معيّنة، أو تحقيق نتائج معينة ثابتة، ومن أجل اتّباع طريقة تساعد** على تحقيق الأفكار والمعاني في الواقع الخارجي فهي تسعى لمعرفة ما هو زائف وما هو حقيقي من المعاني، بالاعتماد على معيار **"الصدق"** الذي يُتوصل إليه من تحليل المعاني والمعتقدات.

ومعنى **"الصدق"** عند البراجماتيين مرتبط بالنجاح العملي، أو ما يترجم إلى سلوك ناجح يقول **"جيمس":** " إن الأفكار تصبح صادقة بقدر ما تساعدنا على أن نربطها بأجزاء من خبرتنا بطريقة تؤدي إلى **سلوك** ناجح في الحياة، ويضيف إنه ينبغي عليك إن تستخرج من كل لفظ قيمته الفورية الفعلية ، وأن تضعه موضع العمل في نطاق مجرى خبرتك؛ بحيث تكون قيمة الفكرة مرتبطة بنجاح **السلوك الذي يؤديه** الإنسانبناءً على اعتقاده في صحتها"[1]،وهذا الطرح يعد من أهم الطروحات التي استفادت منها التداولية.

ج) علم النفس المعرفي:" هذا العلم الذي تجاوز البحث في الأمراض الذهنية؛ إذ أضحى يعنى بالطريقة التي يشتغل وفقها الذهن البشري. وفي **هذا الإطار** قدمت بحوث متنوعة لتفسير ذلك أفادت منها **التداولية** في **"نظرية الملاءمة"** وفي تفسير العمليات الاستدلالية في إدراك أبعاد الفعل اللغوي. **ومن ذلك** التفسير **الذي قدمه** "جيري فودور" **إذ بيّن** أن اشتغال الذهن البشري اشتغال تراتبي، وتجري فيه **معالجة المعلومة الإخبارية مهما كان مصدرها** (مرئي أو سمعي، أو لغوي..). عبر مراحل متلاحقة؛ وكل **مرحلة منها تقابل مكونا من مكونات الذهن ، وهي المحولة** والنظام الطرفي والنظام **المركزي"**[2].والكل يتم في **إطار "منظومة"** مختصة بمعالجة المعطيات. **ومن هذا التوضيح أفادت التداولية؛ إذ تندرج بوضوح ضمن النظام** المركزي الذي يعمل على إتمام التأويل الذي يتم على مستوى النظام اللغوي الصرف، وتحقق هذه **المهمة من خلال مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى.**

د) نظرية المحادثة: **أفادت التداولية من فلسفة "بول غرايس"** والتي تتجلى بوضوح فيأشهر مقال له:**"منطق المحادثة"**(1975)فقد أدخل فيه مفهومين مهمين يعدان من أهم المفاهيم التي بها اللسانيات التداولية، وهما **"الاستلزام الحواري" و"مبدأ التعاون" ويقدم ضمن هذا المقال مفهوما متطورا** للدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، كما يصوغ مقاربة لإنتاج الجمل وتأويلها ومنه **"يمكن التمييز بين** الجملة والقول؛ فالجملة هي سلسلة من الكلمات التي يمكن لزيد أو عمرو أو صالح التلفظ

[1] _فضل صلاح ، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص24

[2] _موشلارآن ربول جاك ، التداولية اليوم علم جديد للتواصل، تر: سعد الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، ص73

بها في ملابسات مختلفة، ولا تتغير هذه الملابسات، أما القول فهو حاصل التلفظ بجملة ، وهو يتغير بتغير الملابسات والقائلين.

هـ) ***المنطق:*** المفاهيم الجديدة للمنطق التي تجاوزت دلالات المنطق الصوري المتوارثة؛ لأنه لم يتمكن من تفسير بعض الظواهر التي تطرحها العلوم الإنسانية والعوم الاجتماعية بشكل عام والبنية الحجاجية بوجه خاص. بالإضافة إلى مفاهيم وأفكار أخرى ظلت يفيد منها الاتجاه التداولي في معالجة وإثراء القضايا اللغوية.

3- أنواع التداولية:

لقد ظهرت نتيجة التطورات الكبيرة في الفلسفة واللسانيات عدد من التّداوليات مثل التّداولية الاستراتيجية التي ترى بأن التّداولية هي نظرية غير ذهنية لمقصدية الخطاب، والتّداولية المتعالية التي ترى بأن التّداولية تلك المتميزة في تحقيق المشروع الفلسفي، وتمتلك هذه التّداولية اتجاها أخلاقيا، والتّداولية الحوارية وهي هنا تعني دراسة الشروط القبلية للتواصلية وتكمن أهميتها في التقييد بالبحث عن نظرية ملائمة تتعلق بالاستعمال التواصلي للّغة[1]،أي هناك تداوليات منطلقها فلسفي تحاول البحث في القضايا بالمعرفة من خلال آثارها العملية، وهناك من تهتم بالجانب الاستعمالي للّغة في السياقات المختلفة، وتحاول الكشف عن الوظيفة العملية للّغة.

ويمكن تقسيم التّداولية العامة إلى اللسانيات التّداولية، والتداولية الاجتماعية، فالأولى يمكن تطبيقها في دراسة الهدف اللساني من التّداولية والثانية تعني بالشروط والظروف الأكثر محلية المفروضة على الاستعمال اللّغوي، وهو حقل أقل تجريد من الأول، أي أن اللسانيات التّداولية تبحث في قدرة اللّغة على نقل أفعال إنجازية معينة، وأن التّداولية لاجتماعية تهتم بالظروف التي تنتج اللّغة كما تهتم بالسياق والأمور الخارجية.

ونجد الدكتور " نحلة محمود أحمد " يقسم التّداولية إلى:

أ) ***التداولية الاجتماعية:*** التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللّغوي المستنبطة من السياقات الاجتماعية.

ب) ***التداولية اللّغويّة:*** والتي تدرس الاستعمال اللّغوي من وجهة نظر تركيبية.

[1]_التامري عادل ، التّداولية :ظهورها وتطورها، بحث مستمد من الموقع الإلكتروني :دروب، 23 مارس 2017

ج) التداولية التطبيقية: وهي تعني نفس الأسس التي يقوم **عليها استعمال اللغة اتصاليا**[1].

نلاحظ من خلال ما قّدمناه اختلافا بين اللّغويين في تحديد أنواع التّداولية، فلكل لغوي **أو** فيلسوف رؤى خاصة به تختلف عن الآخر، لكن ما نستنتجه من كل هذه التصنيفات **والأنواع** في مجملها تهتم بدراسة اللّغة الإنسانية أثناء الاستعمال والتواصل مع مجتمعه.

4- مهام التداولية ووظائفها:

لعلّ أول تحديد لوظيفة التداولية في حقل اللسانيات هو تحديد **"شارلز موريس"** 1938م " الدلالة تبحث في علاقة العلامات بمدلولاتها، والتداولية تهتم بعلاقة العلاقة بمؤوليها"[2].

ولا قيمة المفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلابد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها **المتكلم.**

وكلّ ذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية، وتهتم أيضا بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب والتي تبث عبر وسائل الاتصال، **فيستعمل المتكلم عدة طرق للإقناع** والتأثير **والأمر والإخبار.**

فهي تدرس استعمال اللغة في السياق وتوقف شتى **مظاهر التأويل اللغوية على السياق، فالجهة** الواحدة يمكن أن تعبّر عن معاني مختلفة أو مقترحات مختلفة منسياق.

وتتلخص مهام التداولية في:

- دراسة استعمال اللغة فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ولكنها تدرس اللغة عند استعمالها في **الطبقات المقامية المختلفة، أي باعتبارها كلاما محددا "صادر** من متكلم محدد" موجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلي **محدد** لتحقيق غرض تواصلي **محدد.**
- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.
- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.
- **شرح أسباب** فشل المعالجة البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات.

---

[1] _ نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار **المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر،**دط ،2002 ، ص 15

[2] _ **بلبع عبد**، التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا موريس، مجلة فصول، القاهرة، ص 78

كذلك تهدف التداولية إلى تطوير نظرية لأفعال الكلام أي الأنماط المجرّدة أو للأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تنجزها أثناء الكلام، واضعة بذلك موضع السؤال التقابل (السوسيري) بين اللغة والكلام، ورافضة اعتبار هذاالأخير موضوعا غير قابل للدراسة المنهجية.

5- *مفاهيم التداولية:*

أ) مفهوم الفعل:

ويتضمن كون اللغة لا تخدم فقط تمثيل العالم بل تخدم إنجاز أفعال، فالكلام هو أن نفعل أي بمعنى واضح هو فعل في الآخرين، ويعني غير ظاهر ولكنه واقعي: تدشين معنى والقيام على كل حال بـ "فعل الكلام"، إذ يوجه مفهوم الفعل هذا نحو مفاهيم أكثر دقة، وأكثر شمولية للتفاعل والتسوية.

ب) مفهوم السياق:

ويقصد به الوضعية الملموسة التي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان، وهوية المتكلمين الخ...، وكلّ ما نحن في حاجة إليه من أجل فهم وتقييم ما يقال، وهكذا ندرك مقدار أهمية السياق حين نحرم منه مثلا، وحين تنقل إلينا المقاصد عبر وسيط وفي حالة معزولة عن السياق الذي يصبح مبهما عامة، ودون قيمة، وعلى عكس ذلك فاللغة العلمية واللغة القانونية أجهدتا نفسيهما على الدوام في إيجاد مقاصدها التي هي عبارة عن نصوص مكتوبة في الغالب لتمرير كل الأخبار السياقية الضرورية للفهم الجيّد كما يعبّر عنه[1].

ج) مفهوم الإنجاز:

ويقصد بالإنجاز طبقا للمعنى الأصلي للكلمة إنجاز الفعل في السياق، إما بمحايثة لقدرات المتكلمين، أي معرفتهم وإلمامهم بالقواعد، وإما بتوجب إدماج التمرس اللساني بمفهوم أكثر تفهما، كالقدرة التواصلية.

في نهاية هذا المبحث يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

- إن المنهج التداولي يعد من أنجع المناهج لدراسة وتحليل النص الأدبي بصفة عامة، والخطاب الحجاجي بصفة خاصة، لأنه لا يقتصر على النظر في تراكيبه ونظامه اللغوي نظرة وصفية بنيوية،

1_ بعلي حنفاوي ، التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، مجلة أكاديمية محكمة يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، العدد 11 ،جانفي 2006 ،ص 55

بل يتعدى ذلك إلى كل الظروف والملابسات المحيطة والمصاحبة لعملية التواصل، بغية الوقوف على أقرب المعاني له، فالمنهج الوصفي الذي نادى به سوسير يهتم بدراسة اللغة ، أما المنهج التداولي فهو يهتم بدراسة الكلام.

- **على الرغم** من النشأة المضطربة للمنهج التداولي لتعدد المصادر والمشارب؛ **مما** أفضى إلى **مدونة** هائلة من التعريفات والتقسيمات، فقد أتاح لكل باحث أن يأخذ بالتعريف الذي يخدم بحثه **ويتناسب مع موضوعه.**

- إذا قلنا إن التداولية تعنى بسياق التواصل، فهذا لا يعني أنها **تتجاوز المسائل** الجزئية في بناءالنصوص، بل تنطلق من الخصائص الشكلية لعناصر التركيب كالأفعال اللغوية، والتراكيب الحجاجية، والحذف، والتوكيد، والتكرار والقصر، ثم تبين وظائفها التداولية اعتمادا على المفاهيم التداولية، **وكذا** البلاغة والنحو.

خاتمة

وبعد أن بلغ هذا البحث المتواضع نهايته، نصل إلى عرض ما أسفرت عليه الدراسة من نتائج وأفكار تكون خلاصة للفصلين، فكانت النتائج كالآتي:

– اللّسانيّات هي الدراسة العلمية للغة التي ظهرت في القرن العشرين، والتي وضع أسسها، وحدّ أهدافها ومناهجها اللّساني السويسري دي سوسير وتعنى بدراسة الأنظمة اللغوية دراسة آنية وصفية.

– لقد قطعت الدراسات اللّسانيّة الحديثة مسارا طويلا وحافلا بالتطورات، بدءا باسهامات المدرسة البنيوية ومرورا بالمدرسة الوظيفية وانتهاءا بالمدرسة التوليدية التحويلية، واستطاعت في خضم كل تلك التطورات أن تحقق تراكما معرفيا استفاد من اختلاف الأطر المرجعية المنطلق منها في دراسة وتحليل الظاهرة اللغوية.

– في أوائل القرن العشرين، ظهرت أربع مدارس لسانية كبيرة في أوروبا:

– مدرسة ذات اتجاه سويسري انبثقت مباشرة من الأفكار الواردة في محاضرات دي سوسير. ومن أكبر المروجين لها شارل بالي. وفي الحقيقة لا يوجد لساني واحد لم يتأثر بما كتبه دي سوسير.

– مدرسة دانماركية تمركزت بكوبنهاغن واقترنت أساسا باسم لويس يلمسليف وهان بورغن أولدال.

– مدرسة سلافية متمركزة في براغ بتشيكوسلوفاكيا، وتضم البولندي بودوان دي كورتني والتشيكي فيلام مثيزيوس والنمساوي كارل بوهلر، والروسيين نيكولاي تروبتسكوي وورومان ياكبسون.

– مدرسة بريطانية ارتكزت في العاصمة لندن، وعرفت هذه المدرسة بتفضيلها للجانب العملي التطبيقي على الجانب النظري المحض واهتمت خاصة بالدراسات الصوتية واللّسانيّات التطبيقية، ومن أقطابها فيرث وهاليداي وليونز.

– وبشكل عام، فقد عُنيت كلّ هذه المدارس الأوروبية باللغات بوصفها أنظمة بنيوية وظيفية، وكان لها دور عظيم في تطوير الدراسات اللغوية، وربطها ببعض الفروع العلمية الأخرى.

– أما اللّسانيّات الأمريكية، فقد تأثرت بالأبحاث الحقلية الأنتروبولوجية التي قام بإجرائها كل من سابير وورف على اللغات الهندية الأمريكية، وهيمنت اللّسانيّات الوصفية البنيوية التي وضع أسسها "بلومفيد" على الساحة الأمريكية حتى أواخر الخمسينيات.

– وعلى الرغم من أن التيارين البنيوي والوظيفي قد هيمنا على الساحة الفكرية لردح طويل من الزمن إلا أن النظرية التوليدية التحويلية استطاعت أن تستأثر باهتمام الدارسين، بل وأصبح لها أتباع في كل مكان من أرجاء المعمورة وذلك بفضل ما حققته من نتائج في معالجتها للظواهر اللّسانيّة التي استطاعت أن ترقى بها إلى مستوى العلمية والتجريد.

– أحدث تشومسكي ثورة ضد البنيوية السلوكية بقواعده التوليدية التحويلية وفلسفته العقلانية، واعتنى عناية كبيرة بالنحو التقليدي والمنطق الرمزي، ونجح في توجيه معظم اللسانيين الأمريكيين إلى دراسة الجانب اللغوي الإبداعي. والأخذ بعين الاعتبار الاستعدادات القبليّة التي تساعد الأطفال على اكتساب اللغة في وقت قياسي دون جهد وعناء. وبهذا الاتجاه الجديد، اكتسب تشومسكي شهرة عالمية لا تضاهى.

– إن " نظرية النحو الوظيفي " عد نظرية ذات فائدة لسانية هامة، بالنظر إلى أنها نجحت في استقطاب كثير من الباحثين الذين تبنوا مبادءها لأنها اهتمت بتغطية جوانب أساسية في الظاهرة اللغوية، وسد ثغرات خلفتها النظريات اللسانية غير الوظيفية في نقاط وجوانب حيوية كالكلام، و سياق الحال، و ملابسات الخطاب، ... و إدراج ذلك كله ضمن وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها.

– تعد نظرية "النحو الوظيفي" الإطار الأمثل الذي يحدد مسار الدراسات اللسانية المهتمة بالجانب الوظيفي للغة البشرية، باعتبارها نظرية مكملة لنظرية النحو العلائقي، والنظرية الأنموذج بالنسبة للنظريات الوظيفية كالنظرية التوليدية التحويلية.

– إذا كانت لسانيات الجملة منذ بنيوية سوسير إلى لسانيات نوام شومسكي تدرس الجملة، فإن لسانيات النص تدرس ما فوق الجملة. أي تعنى بدراسة الجملة الكبرى. أي النص.

– ومن أهم القضايا التي ترتكز عليها لسانيات النص نذكر اتساق النص وانسجامه، ودراسة الحوارية والتناص، وتجنيس النصوص وتنميطها، والتمييز بين النص واللانص، والتركيز على البعد الوظيفي التواصلي، وتحليل السياق التداولي، والتوقف عند المقصدية النصية...

– التداولية هي نظرية من النظريات اللسانية التي وجدت صداها في المدة الأخيرة لكونها تكمل ما كان ناقصا في النظرية اللسانية البنيوية.

– إن المنهج التداولي يعد من أنجع المناهج لدراسة وتحليل النص الأدبي بصفة عامة، والخطاب الحجاجي بصفة خاصة، لأنه لا يقتصر على النظر في تراكيبه ونظامه اللغوي نظرة وصفية بنيوية، بل يتعدى ذلك إلى كل الظروف والملابسات المحيطة والمصاحبة لعملية التواصل، بغية الوقوف على أقرب المعاني له، فالمنهج الوصفي الذي نادى به سوسير يهتم بدراسة اللغة ، أما المنهج التداولي فهو يهتم بدراسة الكلام.

– إذا قلنا إن التداولية تعنى بسياق التواصل، فهذا لا يعني أنها تتجاوز المسائل الجزئية في بناء النصوص، بل تنطلق من الخصائص الشكلية لعناصر التركيب كالأفعال اللغوية، والتراكيب **الحجاجية، والحذف، والتوكيد، والتكرار والقصر،** ثم تبين وظائفها التداولية اعتمادا على المفاهيم **التداولية، وكذا البلاغة والنحو.**

وبهذا العرض المتواضع نكون قد أشرنا لأهم المراحل التي مرّ بها الدرس اللغوي، وللأفكار التي اكتنفته، كما أشرنا لأبرز الباحثين الذين قدّموا للدرس اللغوي آليات بحث جديدة، سارت فيه إلى فضاءات أرحب، محاولين كسر الجمود الذي لازم الدرس اللغوي قرونا طويلة، مواكبين به الثورات العلمية الهائلة، في جميع العلوم، فشاركها سباق التطوّر والحداثة، وأثّر فيها، وتأثّر بها، حتى غدا رفيقا لكثير منها، ولاسيّما العلوم الإنسانية التي ينتمي إليها.

قائمة المصادر
و
المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- ابراهيم محمد ابراهيم، محمد عثمان، من المدارس الألسنية المدرسة التوليدية التحويلية، جامعة عمر المختار.

2- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ/1979م.

3- ابن منظور،لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، ط1، 1990م.

4- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب، دار الثقافة، بيروت، دط، 1972م.

5- إيفيتش ميلكا، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعد مصلوح ووفاء كامل، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2، 2002م.

6- ايلوار روفال، مدخل إلى اللسانيات، ترجمة: بدر الدين قاسم، منشورات وزارة التعليم العالي، السعودية، دط، 1980م.

7- باب عمر سليم، باني عميري، اللسانيات العامة الميسرة- علم التراكيب- الجزائر، دط، 1990م.

8- بعلي حذفاوي، التداولية... البراغماتية الجديدة خطاب ما بعد الحداثة، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد 11، جانفي 2006م.

9- بلبع عيد، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، القاهرة، العدد 22،سبتمبر 2009م.

10- بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية – مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم- بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2012م.

11- بوقرة نعمان، المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة،دط، دس

12- بياجيه جان، البنيوية، ترجمة: عارف منيمنه وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط5، 1985م.

13- التامري عادل، التداولية ظهورها وتطورها، بحث مستمد من الموقع الإلكتروني، دروب، 23 مارس 2017م.

14- جرهادهبلش، تاريخ علم اللغة الحديث، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 1975م.

15- جيفري سامبسون، المدارس اللغوية – التطور والصراع- ترجمة: أحمد الكراعين، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1993م.

16- حجازي محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة المجالات والإتجاهات، دار المصرية السعودية، القاهرة، 2006م.

17- حساني أحمد، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1999م.

18- حلمي خليل، العربي وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط1، 1995م.

19- حمداوي جميل، محاضرات في لسانيات النص، دار الألوكة، المغرب، ط1، 2015م.

20- حنا حسام الدين، جريس، معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 997م.

21- الراجحي عبده، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1979م.

22- رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخاذجي، القاهرة، ط2، 1980م.

23- روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة: أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1978م.

24- زوين علي، منهج البحث الغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، بغداد، ط1، 1986م.

25- السعران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، دط، 1999م.

26- الشهيري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.

27- صحراوي مسعود، التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

28- طالب الإبراهيمي خولة، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، حيدرة، الجزائر، ط2، 2006م.

29- الطبال بركة فاطمة، النظرية الألسنية عند رومان ياكبسون-دراسة نصوص- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1413هـ/ 1993م.

30- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1422هـ/2002م.

31- العلوي شفيقة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث الترجمة والنشر والتوزيع، ط1، 2002م.

32- غزالة عبد الجليل وأنوال الثقافي، نحو النص بين النظرية والتطبيق، المغرب، 1986م، العدد 26

33- الغزالي عبد القادر، اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار اللاذقية، دط، 2003م.

34- غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة- تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

35- غلفان مصطفى وحافظ اسماعيلي علوي وامحمد الملاخ، اللسانيات التوليدية- من النظرية المعيار إلى البرنامج الأدنوي- عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010م.

36- الفاسي الفهري عبد القادر، ملاحظات حول البحث في التركيب العربي، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1991م.

37- فؤاد زكرياء، الجذور الفلسفية للبنائية، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، دط، 1980م.

38- فرديناند دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، دط، 2008م.

39- فرانسوازأرمنيكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1997.

40- فضل صلاح، نظرية البنائية في النقد الأدبي، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1980م.

41- فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص.

42- فليو عبد الكريم وعبد الكريم عزيب، التعلم والإكتساب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001م.

43-الكشو صالح، مدخل إلى اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، دط، 1985م.

44- كليطو عبد الفتاح، الأدب والغرابة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.

45- لوشن نور الهدى، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الازارطية الاسكندرية، دط، 2000م.

46- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، ط8، 1998م.

47- الماشطة حميد عبد الحليم، اللغة العربية واللسانيات المعاصرة، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، 1434هـ/2013م.

48- المتوكل أحمد، اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989م.

49- المتوكل أحمد، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي-الأصول والإمتداد- دار الأمان، المغرب، ط1، 2006م.

50- المتوكل أحمد، الوظيفة والبنية: مقاربة وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، 1993م.

51- المتوكل أحمد، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2003م

52- محمد النجار وابراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر، معجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، ط1، 2004م.

53- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

54- مفتاح محمد، النقد بين المثالية والدينامية، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت لبنان، ط2، 2003م.

55- مقدور أحمد محمد، مبادئ في اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 1429هـ/2008م.

56- المرابط عبد الكريم، مدخل إلى اللسانيات، جامعة عبد المالك السعدي، الكويت، ط1، 1978م.

57- موشلارآن ربول جاك، التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ترجمة: سعد الدين دغنوس وحمد الشيباني، مكتبة ناشرون، لبنان، ط4، 1997م.

58- مومن أحمد، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، ط2، 2005م.

59- مونان جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، ترجمة: بدر الدين قاسم، جامعة دمشق، ط2، 1392هـ/ 1972م.

60- ميشال زكرياء، الألسنية التحويلية وقواعد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط2، 1986م.

61- نباني محمد الصغير، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، دط، 2001م.

62- نحلة محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، دط، 2002م.

63- وافي عبد الواحد، علم اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، 2004

فهرس الموضوعات:

- إهــداء

- كلمة شــكــر وعـرفــان

مـــقدمـــة .....(ب)

الفصل التمهيدي: اللّسانيات قراءة في الموضوع، المنهج والإجراء

- تعريف باللّسانيات وتاريخها.....10

- نشأة اللّسانيّات.....10

- موضـوع اللّسانيّات.....15

- خصـائص اللّسانيّات.....16

- أهم مناهج اللّسانيّات.....17

أ) المنهج الوصفي.....17.

ب) المنهج التاريخي.....19

- فروع اللّسانيات.....19

أ) اللّسانيّات العامة واللّسانيّات الوصفية.....19

ب) اللّسانيّات التاريخيّة.....20

ج) اللّسانيّات النظرية واللّسانيّات التطبيقيّة.....21

د) اللّسانيّات المضيقة واللّسانيّات الموسعة.....21

الفصل الأول: اللّسانيّات البنيوية ومدارســـها

– المبحث الأول: مدخل إلى اللّسانيّات البنّيويّة

1- تحديد مصطلح البنية

أ) الدلالة اللغوية لكلمة بنية.....26

ب) الدلالة الاصطلاحية.....26

2- البنيوية في إطارها المعرفي العام.....27

3- مبادئ اللّسانيّات البنيويّة.....31

– المبحث الثاني: مـــدرسة جنـــيف

1- تعريـــفها.....34

2- مبادئها.....35

أ) ثنائية اللغة والكلام.....35

ب) ثنائية الدال والمدلول.....37

ج) الآنية والتعاقبية.....40

د) العلاقات التركيبية والترابطية.....42

– المبحث الثالث: مدرسة براغ الوظيفية

1- النشأة التاريخية.....44

2- التطور.....44

3- مبـــادئها.....45

أولاً: المبادئ الجمالية.....45

ثانياً: المبادئ اللّسانيّة.....46

4- برنامج حلقة براغ / النظرية والمنهج.....47

أ) في مجال الدرس الصوتي.....47

ب) المظاهر التي تتجلى فيها اللغة.....50

المبحث الرابع: المدرسة النسقية

1- النشأة والتطور.....54

2- فحوى نظرية الغلوسيماتيك.....56

3- نظام اللغة.....58

4- المبادئ العامة للغلوسيماتيك.....59

أ) مبدأ التجريبية.....59

ب) مبدأ الإحكام والملائمة.....60

المبحث الخامس: المدرسة التوزيعية

1- تعريفها ونشأتها.....61

2- مميزاتها.....64

الفصل الثاني: قراءات في مدارس اللّسانيّات ما بعد البنّيويّة

1- توطئـة.....67

2- المبحث الأول: المدرسة التّوليديّة التّحويليّة وعقلانية دراسة اللغة

1- تعريفها.....69

2- سبب نشأتها.....70

3- موضوعها.....70

4- معالمها.....70

5- مبـادئها.....72

6- المنهج التّوليدي التحويلي وبناء الجملة.....74

7- هدف النحو التوليدي.....75

3- المبحث الثاني: اللّسانيّات الوظيفية

1- أهم النظريات الوظيفية وسبل المفاضلة بينها.....77

أ) نظرية النحو الوظيفي.....78

ب) مبادئ النحو الوظيفي وأسسه.....79

4- المبحث الثالث: اللّسانيّات النصية وتحليل الخطاب

1- تعريفها.....84

2- نشأة لسانيات النص.....87

3- أهداف لسانيات النص.....87

4- منهجية لسانيات النص.....89

5- المبحث الرابع: اللّسانيّات التداولية

1- مفهوم التداولية.....92

أ) لغة.....92

ب) اصطلاحا.....93

2- نشأة التّداولية وتطورها.....93

3- أنواع التداولية.....96

4- مهام التداولية ووظائفها.....97

5- مفاهيم التداولية.....98

أ) مفهوم الفعل.....98

ب) مفهوم السياق.....98

ج) مفهوم الإنجاز.....98

- خـــــاتمـــة 101

- قائمة المصادر والمراجع.....106

- فهرس الموضوعـات .....